سلسلة قصص الأطفال (٣)

قصص الأطفال

الجزء الثالث

قصص القرآن الكريم

إعداد:
سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

(٣)

قصص الأطفال

الجزء الثالث

حقوق الطبع لجميع المسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

طبع ونشر وتوزيع

الموقع "اليمن - عدن - لحج - دار الحديث بالفيوش"

المبيعات: للطلب جملة - تجزئة

هاتف للتواصل واتساب : 967775250954+

سلسلة قصص الأطفال (٣)

قصص الأطفال

الجزء الثالث

قصص القرآن الكريم

إعداد:

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ رسولِ اللهِ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وزوجاتِهِ ومن سارَ نهجَهُ إلىٰ يومِ الدينِ.

أما بعدُ:

فيسرُّني أنْ أقدِّمَ لكمْ هذا الكتابَ المباركَ، الذي سنبحرُ فيهِ معًا في عالمٍ مليءٍ بـالحكمةِ، والعلمِ، والتشويقِ، والدروسِ المستفادةِ من كتابِ اللهِ العظيمِ، القرآنِ الكريمِ.

لقدِ اختارَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ لنا في قرآنِهِ قصصًا ليستْ مجردَ حكاياتٍ، بلْ هي نورٌ وهدايةٌ، تحملُ في طياتِها العبرَ والعظاتِ، وتُشعلُ في قلوبِنا حبَّ اللهِ ورسولِهِ، وتُثبِّتُ أقدامَنا علىٰ طريقِ الحقِّ.

في هذا الكتابِ، ستلتقونَ بـشخصياتٍ عظيمةٍ، وتعيشونَ أحداثًا شيقةً، وسترونَ كيفَ أنَّ الإيمانَ الصادقَ يصنعُ المعجزاتِ، وكيفَ أنَّ اللهَ يدافعُ عن عبادِهِ الصالحينَ، وكيفَ أنَّ الظلمَ لا يدومُ، وأنَّ العاقبةَ دائمًا للمتقينَ.

سنتعلمُ معًا قيمَ الصبرِ، والشكرِ، والشجاعةِ، والكرمِ، وسنفهمُ أهميةَ طاعةِ اللهِ ورسولِهِ، والابتعادِ عن الشرورِ والمعاصي. كلُّ قصةٍ هي نافذةٌ تُطِلُّونَ منها علىٰ عظمةِ الخالقِ، ورحمتِهِ، وعدلِهِ.

أتمنىٰ أنْ تستمتعوا بقراءةِ هذه القصصِ، وأنْ تتدبروا معانيَها، وأنْ تزرعَ في قلوبِكم بذورَ الإيمانِ والخيرِ؛ لتكونوا أجيالًا صالحةً، تنيرُ دروبَ الحياةِ بما تعلمتُموهُ من كتابِ اللهِ.

كتبهُ: سالمُ بنُ الخضرِ بنِ أحمدَ المنذريُّ.

دارُ الحديثِ بالفيوشِ، حرسَها اللهُ من كلِّ شرٍّ وسوءٍ وسائرَ بلادِ المسلمينَ.

التاريخُ: ١٩ محرمٍ ١٤٤٧ هـ.

قِصَّةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

أَهْلًا بِكُمْ أَحِبَّائِي الْأَبْطَالَ فِي لِقَاءٍ جَدِيدٍ مِنْ لِقَاءَاتِ قَصَصِ الْأَطْفَالِ، وَمَعَ قَصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

هَيَّا بِنَا نَبْدَأُ أَوَّلَ هَذِهِ السِّلسِلَةِ الْمُبَارَكَةِ، اسْتَعِدُّوا لِنَسْمَعَ الْيَوْمَ قِصَّةً مِنْ قَصَصِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ، قِصَّةً تُثِيرُ الدَّهْشَةَ وَتُعَمِّقُ الْإِيمَانَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَمْتَعْنَا بِقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَا نَحْنُ لَا زِلْنَا نَنْهَلُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الْقَصَصَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وَمَعَ أَوَّلِ قِصَّةٍ نَسْتَفْتِحُ بِهَا هَذَا اللِّقَاءَ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ قِصَّةٍ عَنْ قَوْمٍ اخْتَارُوا الْفِرَارَ مِنَ الْمَوْتِ، فَكَانَ لَهُمْ شَأْنٌ آخَرُ؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، نَحْنُ مُتَشَوِّقُونَ جِدًّا! هَلْ هِيَ قِصَّةٌ حَزِينَةٌ؟

الْأَبُ: فِيهَا حُزْنٌ وَفِيهَا عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ يَا بُنَيَّ. يَحْكِي لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ قَوْمٍ كَثِيرِينَ، خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ، أَيْ آلَافٌ مُؤَلَّفَةٌ. كَانُوا خَائِفِينَ مِنَ الْمَوْتِ، بِسَبَبِ وَبَاءٍ انْتَشَرَ فِي بِلَادِهِمْ. وَقِيلَ: هَرَبُوا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَظَنُّوا أَنَّ الْفِرَارَ سَيُنْجِيهِمْ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، آلَافُ الْبَشَرِ يَتْرُكُونَ بُيُوتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ، فَقَطْ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِمْ وَلَوْ طَالَ الْعُمُرُ.

سَارَةُ: وَمَاذَا فَعَلُوا يَا أَبِي؟ أَيْنَ ذَهَبُوا؟

الْأَبُ: لَقَدْ خَرَجُوا هَائِمِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، لَا يَعْرِفُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ، فَقَطْ يَرْكُضُونَ بَعِيدًا عَنْ دِيَارِهِمُ الَّتِي رَأَوْا فِيهَا الْمَوْتَ يَفْتِكُ بِالنَّاسِ. لَكِنَّهُمْ نَسُوا أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُحْيِي

وَالْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَا يَتَأَخَّرُ. وَبَيْنَمَا هُمْ فِي طَرِيقِهِمْ، فِي الصَّحْرَاءِ، أَوْ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ قَرْيَتِهِمْ، فَاجَأَهُمْ أَمْرُ اللهِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: "مُوتُوا".

خَدِيجَةُ: (بِتَعَجُّبٍ) مَاتُوا كُلُّهُمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ مَاتُوا جَمِيعًا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. سَقَطُوا عَلَىٰ الْأَرْضِ جُثَثًا هَامِدَةً، لَا حَرَاكَ فِيهَا، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءً قَطُّ. الْآلَافُ الَّذِينَ فَرُّوا مِنَ الْمَوْتِ، أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، لِيُعَلِّمَنَا اللهُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنْ قَدَرِهِ مُسْتَحِيلٌ.

أُسَامَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ هَلْ بَقُوا مَوْتَىٰ؟

إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ: مُعْجِزَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَىٰ الْبَعْثِ.

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْأَعْجَبُ فِي الْقِصَّةِ يَا أُسَامَةُ. بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، اللهُ أَعْلَمُ بِمُدَّتِهَا، أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ لِلنَّاسِ قُدْرَتَهُ الْمُطْلَقَةَ، وَأَنْ يَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا اللهَ أَنْ يُحْيِيَهُمْ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ.

سَارَةُ: أَحْيَاهُمْ كُلَّهُمْ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، لَقَدْ أَحْيَاهُمُ اللهُ جَمِيعًا بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ. عَادَتْ إِلَيْهِمُ الْأَرْوَاحُ، وَعَادَتِ الْحَيَاةُ لِأَجْسَادِهِمُ الْهَامِدَةِ، فَقَامُوا وَكَأَنَّهُمُ اسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَظَمَةَ الْخَالِقِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ بِيَدِهِ وَحْدَهُ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ مُعْجِزَةً عَظِيمَةً، آيَةً بَيِّنَةً عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا فَعَلُوا بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمُ اللهُ؟

الْأَبُ: لَقَدْ عَاشُوا حَيَاةً أُخْرَىٰ يَا خَدِيجَةُ، حَيَاةً تَجْعَلُهُمْ يَتَذَكَّرُونَ دَائِمًا أَنَّ الْفِرَارَ مِنْ قَدَرِ اللهِ لَا يَنْفَعُ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَظِيمَةً جِدًّا، ذَكَرَهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِنَتَعَلَّمَ مِنْهَا دُرُوسًا وَفَوَائِدَ عَدِيدَةً.

أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ مِنَ الْقِصَّةِ

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَفِرَّ مِنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْأَجَلُ لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: قُدْرَةُ اللهِ عَظِيمَةٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ وَسَوْفَ يَحْدُثُ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْخَوْفُ الزَّائِدُ لَا يُغَيِّرُ الْقَدَرَ، بَلْ قَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ نَتَائِجَ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ، فَالْوَاجِبُ هُوَ التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ أُمُورِنَا.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْعِبْرَةُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هِيَ الْيَقِينُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّمَ أَمْرَنَا إِلَيْهِ وَنَرْضَىٰ بِقَضَائِهِ.
- **الْأَبُ**: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: هَذِهِ الْقِصَّةُ دَعْوَةٌ لَنَا لِلتَّفَكُّرِ فِي عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ هُوَ سَبِيلُ النَّجَاةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

***

قِصَّةُ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

أَهْلاً بِكُمْ أَحِبَّائِي فِي لِقَاءٍ جَدِيدٍ مِنْ لِقَاءاتِ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. الْيَوْمَ سَنَحْكِي قِصَّةً تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُرَسِّخُ الْإِيمَانَ بِقُدْرَةِ اللهِ الْمُطْلَقَةِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. قِصَّةُ رَجُلٍ مَرَّ بِقَرْيَةٍ مَهْجُورَةٍ، فَكَانَ لَهُ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ. هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي تَزِيدُنَا يَقِينًا بِعَظَمَةِ خَالِقِنَا؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، مُتَشَوِّقُونَ جِدًّا! قَرْيَةٌ مَهْجُورَةٌ؟ وَمَاذَا حَدَثَ فِيهَا؟

الْأَبُ: مَرَّ رَجُلٌ صَالِحٌ، قِيلَ إِنَّهُ الْعُزَيْرُ رَحِمَهُ اللهُ، بِقَرْيَةٍ كَانَتْ عَامِرَةً بِالسُّكَّانِ، لَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ خَاوِيَةً تَمَامًا، مُهَدَّمَةَ الْبُيُوتِ، مُمَزَّقَةَ الْجُدْرَانِ، لَا يُوجَدُ فِيهَا أَيُّ أَثَرٍ لِلْحَيَاةِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنْ تَمُرُّوا بِمَدِينَةٍ كَانَتْ مَلِيئَةً بِالضَّجِيجِ وَالْحَرَكَةِ، ثُمَّ تَجِدُوهَا صَامِتَةً تَمَامًا، وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ لَمْ تَدُبَّ فِيهَا قَطُّ! لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ قَدْ دُمِّرَتْ بِالْكَامِلِ، وَمَاتَ جَمِيعُ أَهْلِهَا.

سَارَةُ: بِحُزْنٍ! وَكَيْفَ دُمِّرَتْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ دُمِّرَتْ بِعَذَابٍ مِنَ اللهِ، أَوْ بِسَبَبِ وَبَاءٍ أَهْلَكَ أَهْلَهَا، أَوْ رُبَّمَا بِسَبَبِ حَرْبٍ قَضَتْ عَلَيْهِمْ. الْمُهِمُّ يَا سَارَةُ، أَنَّهَا أَصْبَحَتْ خَرَابًا لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ، وَلَا يُوجَدُ فِيهَا إِلَّا بَقَايَا الْبُيُوتِ الْمُهَدَّمَةِ. نَظَرَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَىٰ حَالِ الْقَرْيَةِ، وَتَفَكَّرَ فِي أَمْرِهَا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]، أَيْ كَيْفَ يُحْيِي اللهُ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَأَهْلَهَا بَعْدَ أَنْ مَاتُوا وَتَهَدَّمَتْ بُيُوتُهُمْ.

فَأَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ وَلِلنَّاسِ عَظَمَةَ قُدْرَتِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يُفَكِّرُ وَيَتَسَاءَلُ، أَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ. نَامَ نَوْمًا عَمِيقًا وَطَوِيلاً جِدّاً، لَمْ يَسْتَيْقِظْ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ مُرُورِ مِئَةِ عَامٍ كَامِلَةٍ!

أُسَامَةُ: مِئَةُ عَامٍ! يَا سُبْحَانَ اللهِ! وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ؟ هَلْ تَغَيَّرَ؟

الأَبُ: عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ يَا أُسَامَةُ، سَأَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]، أَيْ كَمْ بَقِيتَ نَائِمًا؟ فَأَجَابَ الرَّجُلُ: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ نَامَ يَوْمًا وَاحِداً أَوْ أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِمُرُورِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ. فَقَالَ لَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

سَارَةُ: وَمَاذَا كَانَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَحِمَارُهُ يَا أَبِي؟

الأَبُ: لَقَدْ كَانَ مَعَهُ بَعْضُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَظَلَّا طَازَجَيْنِ لَمْ يَتَغَيَّرَا أَوْ يَفْسُدَا طَوَالَ مِئَةِ عَامٍ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ مُعْجِزَةٌ! أَمَّا حِمَارُهُ يَا سَارَةُ، فَقَدْ وَجَدَهُ عِظَامًا بَالِيَةً، مُتَنَاثِرَةً عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ حِمَاراً حَيّاً قَطُّ. وَلَكِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ عَظَمَةَ الْإِحْيَاءِ. فَقَالَ لَهُ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

خَدِيجَةُ: هَلْ عَادَتِ الْعِظَامُ حِمَاراً حَيّاً؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ رَأَىٰ الرَّجُلُ بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ أَنَّ عِظَامَ الْحِمَارِ تَجَمَّعَتْ وَتَكَسَّتْ بِاللَّحْمِ، ثُمَّ قَامَ حِمَاراً حَيّاً كَمَا كَانَ! لَقَدْ كَانَتْ مُعْجِزَةً عَظِيمَةً أَمَامَ عَيْنَيْهِ؛ لِيَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ.

وَعِنْدَمَا رَأَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

لَقَدْ زَالَ أَيُّ شَكٍّ مِنْ قَلْبِهِ، وَامْتَلَأَ يَقِينًا بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

وَالْآنَ يَا أَحِبَّائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ الرَّجُلِ الَّذِي مَرَّ عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الْخَاوِيَةِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: قُدْرَةُ اللهِ عَلَىٰ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ عَظِيمَةٌ لَا يَحُدُّهَا شَيْءٌ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْعِبْرَةُ فِي التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللهِ وَآيَاتِهِ، فَالتَّأَمُّلُ فِي الْكَوْنِ يَزِيدُ الْإِيمَانَ وَيُزِيلُ الشُّكُوكَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَشُكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ وَإِلَّا عَاقَبَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الزَّمَنُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ مُرُورَ السِّنِينَ وَالْأَيَّامَ، وَلَا يُحَسُّ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْقَصَصُ الْقُرْآنِيَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حِكَايَاتٍ، بَلْ هِيَ دُرُوسٌ حَيَّةٌ لِتَرْسِيخِ الْإِيمَانِ، وَتُبَيِّنُ لَنَا عَظَمَةَ اللهِ فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا يَقِينٌ مُطْلَقٌ بِأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ بِقُدْرَتِهِ يَمْنَحُنَا الطُّمَأْنِينَةَ وَالْأَمَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَكَانٍ.

***

قِصَّةُ أَصْحَابِ السَّبْتِ: دَرْسٌ فِي الطَّاعَةِ وَعَوَاقِبِ الْمُخَالَفَةِ

أَهْلاً بِكُمْ أَوْلَادِي الْأَخْيَارَ، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! يَسْعَدُنِي أَنَّكُمْ مَا زِلْتُمْ مُتَشَوِّقِينَ لِسَمَاعِ الْمَزِيدِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ الْعَظِيمَةِ. سَنَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنْ أَهَمِّيَّةِ طَاعَةِ أَوَامِرِ اللهِ، وَعَنْ عَوَاقِبِ الْمُخَالَفَةِ وَالتَّحَايُلِ عَلَىٰ شَرْعِهِ. إِنَّهَا قِصَّةُ أَصْحَابِ السَّبْتِ.

سَنَحْكِي قِصَّةً تُبَيِّنُ لَنَا كَيْفَ أَنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يُجَازِي الْعَاصِينَ وَالْمُتَحَايِلِينَ بِأَشَدِّ الْجَزَاءِ. قِصَّةُ قَوْمٍ أَرَادُوا التَّحَايُلَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ وَخِيمَةً. هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ دَرْسًا عَظِيمًا؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، مُتَشَوِّقُونَ جِدًّا! وَمَا هُوَ "السَّبْتُ"؟

الْأَبُ: السَّبْتُ يَا أُسَامَةُ هُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ، وَقَدْ كَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَ قَوْمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانُوا يَسْكُنُونَ قَرْيَةً عَلَىٰ شَاطِئِ الْبَحْرِ، أَنْ يُخَصِّصُوا هَذَا الْيَوْمَ لِلْعِبَادَةِ فَقَطْ. لَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِأَنْ لَا يَعْمَلُوا فِيهِ، وَلَا يَصْطَادُوا السَّمَكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَأَنْ يَتَفَرَّغُوا لِذِكْرِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنَّ اللهَ يَخْتَبِرُهُمْ بِأَمْرٍ بَسِيطٍ، وَهُوَ أَنْ يَتْرُكُوا الصَّيْدَ لِيَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الْأُسْبُوعِ.

سَارَةُ: وَهَلْ أَطَاعُوا أَمْرَ اللهِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَا يَا سَارَةُ، لَمْ يَلْتَزِمُوا بِأَمْرِ اللهِ. لَقَدِ ابْتَلَاهُمُ اللهُ اخْتِبَاراً، فَكَانَتِ الْأَسْمَاكُ تَأْتِي يَوْمَ السَّبْتِ كَثِيرَةً جِدًّا وَقَرِيبَةً مِنَ الشَّاطِئِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ رُؤْيَتَهَا بِأَعْيُنِهِمْ. وَفِي الْأَيَّامِ الْأُخْرَىٰ، كَانَتِ الْأَسْمَاكُ قَلِيلَةً أَوْ بَعِيدَةً. يَا لَهَا مِنْ فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ! فَقَدْ رَأَوْا الْخَيْرَ يَتَدَفَّقُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مُنِعُوا فِيهِ مِنَ الِاصْطِيَادِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا فَعَلُوا يَا أَبِي؟ هَلْ قَاوَمُوا إِغْرَاءَ السَّمَكِ الْكَثِيرِ؟

الْأَبُ: لَمْ يُقَاوِمُوا الِابْتِلَاءَ يَا خَدِيجَةُ، بَلْ حَاوَلُوا التَّحَايُلَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ. لَقَدْ حَفَرُوا حُفَراً عَلَىٰ الشَّاطِئِ، وَوَضَعُوا شِبَاكًا وَحَوَاجِزَ قَبْلَ يَوْمِ السَّبْتِ. فَكَانَتِ الْأَسْمَاكُ تَدْخُلُ هَذِهِ الْحُفَرَ أَوِ الشِّبَاكَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَلَا تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ. ثُمَّ يَأْتُونَ هُمْ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِيَصْطَادُوا السَّمَكَ الَّذِي احْتَبَسَ يَوْمَ السَّبْتِ. ظَنُّوا أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ قَدْ خَدَعُوا اللهَ، لَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ كَانُوا يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ.

أُسَامَةُ: وَهَلْ عَاقَبَ اللهُ تَحَايُلَهُمْ يَا أَبِي؟ وَمَاذَا كَانَتْ عِقَابُهُمْ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ، عَاقَبَهُمُ اللهُ عِقَابًا شَدِيداً. وَلَقَدْ رَأَىٰ فَرِيقٌ مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الْقَرْيَةِ مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَايِلُونَ، فَنَصَحُوهُمْ وَنَهَوْهُمْ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذَا، وَحَذَّرُوهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ. لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْقَوْلِ الْحَسَنِ، وَاسْتَمَرُّوا فِي غَيِّهِمْ. فَجَاءَ أَمْرُ اللهِ بِعِقَابِهِمْ. قَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة البقرة:٦٥].

سَارَةُ: (بِفَزَعٍ) تَحَوَّلُوا إِلَىٰ قِرَدَةٍ؟ هَذَا مُخِيفٌ جِدّاً!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، لَقَدْ كَانَتْ عُقُوبَةً عَظِيمَةً وَمُخِيفَةً. تَحَوَّلُوا بِأَمْرِ اللهِ إِلَىٰ قِرَدَةٍ، وَصَارُوا مَكْرُوهِينَ وَمُهَانِينَ. لَقَدْ عَاقَبَهُمُ اللهُ عُقُوبَةً مُنَاسِبَةً لِفِعْلِهِمْ؛ فَكَمَا تَحَايَلُوا عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ، أَصْبَحُوا فِي شَكْلٍ لَا يَلِيقُ بِهِمْ كَبَشَرٍ. يَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ لِمَنْ يَعْتَبِرُ! فَاللهُ لَا يَرْضَىٰ بِالتَّحَايُلِ عَلَىٰ أَوَامِرِهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلْيَتَوَقَّعْ أَشَدَّ الْجَزَاءِ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ هَيْئَةِ بَشَرٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ أُولَئِكَ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يُشَارِكُوا فِي التَّحَايُلِ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَرْساً عَظِيماً لِبَنِي

إِسْرَائِيلَ وَلَنَا جَمِيعًا، تُعَلِّمُنَا أَنَّ طَاعَةَ اللهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً وَخَالِيَةً مِنْ أَيِّ حِيَلٍ أَوْ مُرَاوَغَةٍ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ أَصْحَابِ السَّبْتِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: طَاعَةُ اللهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ كَامِلَةً وَصَادِقَةً، وَلَا يَجُوزُ أَبَداً التَّحَايُلُ عَلَىٰ أَوَامِرِهِ أَوْ مُخَادَعَةُ الشَّرْعِ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْمَعْصِيَةُ وَالتَّحَايُلُ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللهِ يُورِثَانِ الْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَجِبُ أَنْ نَخْشَىٰ اللهَ فِي كُلِّ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالنَّصِيحَةُ بِالْمَعْرُوفِ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّىٰ لَا نَكُونَ كَمَنْ سَكَتَ عَنِ الْبَاطِلِ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: اللهُ هُوَ الرَّقِيبُ الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْفِيَ عَنْهُ شَيْئًا.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: قِصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُعَلِّمُنَا أَنَّ اللهَ يُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ تَكُونُ وَخِيمَةً.

***

قِصَّةُ رَجُلٍ كَمَثَلِ الْكَلْبِ: عَاقِبَةُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ

تَأَمَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، رَجُلاً كَانَ فِي زَمَنِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ نِعْمَةً عَظِيمَةً جِدّاً: آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ، أَيْ مَنَحَهُ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ التَّامَّةَ بِآيَاتِ اللهِ، وَبِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ لِلَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. لَقَدْ كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ عَالِماً وَرِعاً فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ.

أُسَامَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ عَظِيمٍ! وَهَلِ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ هَذَا الْحَالِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَا يَا أُسَامَةُ، هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْمُحْزِنُ مِنَ الْقِصَّةِ. لَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَمْلِكُ الْعِلْمَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ. عِنْدَمَا جَاءَ قَوْمٌ أَعْدَاءٌ لِنَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، طَلَبُوا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَدْعُوَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ. فِي الْبِدَايَةِ، رَفَضَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُمْ: "كَيْفَ أَدْعُو عَلَىٰ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ وَعَلَىٰ قَوْمِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟" لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءَ لَمْ يَيْأَسُوا، وَأَغْرَوْهُ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ، وَوَعَدُوهُ بِالْكَثِيرِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا.

سَارَةُ: وَهَلِ اسْتَسْلَمَ لِإِغْرَائِهِمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، هُنَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ الْكُبْرَىٰ. لَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ وَحُبُّهُ لِلدُّنْيَا، وَضَعُفَ إِيمَانُهُ أَمَامَ إِغْرَاءَاتِ الْمَالِ. فَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ الْحَقَّ، إِلَّا أَنَّهُ انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، أَيْ خَلَعَهَا مِنْ قَلْبِهِ وَتَرَكَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، تَمَاماً كَمَا يَخْلَعُ الثُّعْبَانُ جِلْدَهُ الْقَدِيمَ. لَقَدْ تَخَلَّىٰ عَنْ عِلْمِهِ وَإِيمَانِهِ مِنْ أَجْلِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ آيَاتِ اللهِ؟

الْأَبُ: بِمَا أَنَّهُ تَخَلَّىٰ عَنْ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ. تَخَيَّلُوا يَا صِغَارِي، كَأَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ يَتَرَبَّصُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَلْبَهُ قَدْ أَصْبَحَ فَارِغاً مِنَ الْإِيمَانِ، تَسَلَّلَ إِلَيْهِ وَتَمَكَّنَ

مِنْهُ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، أَيْ مِنَ الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ. لَقَدْ أَصْبَحَ فِي صَفِّ الْأَعْدَاءِ، وَبَدَلَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ عِلْمَهُ فِي الْخَيْرِ، اسْتَخْدَمَهُ فِي الشَّرِّ.

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ حَالَهُ بِوَصْفٍ بَلِيغٍ جِدّاً، لِدَرَجَةِ أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ انْحِطَاطِ الْإِنْسَانِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦].

أُسَامَةُ: وَمَا مَعْنَىٰ هَذَا الْمَثَلِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: هَذَا الْمَثَلُ يَا أُسَامَةُ يَصِفُ حَالَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي تَرَكَ هُدَىٰ اللهِ وَأَحَبَّ الدُّنْيَا. الْكَلْبُ يَا صِغَارِي يَلْهَثُ دَائِماً، سَوَاءً جَرَىٰ أَمْ تَوَقَّفَ، سَوَاءً تَعِبَ أَمِ ارْتَاحَ، سَوَاءً حَمَلْتَ عَلَيْهِ (أَيْ طَارَدْتَهُ) أَوْ تَرَكْتَهُ، فَهُوَ يَلْهَثُ. وَهَكَذَا كَانَ حَالُ هَذَا الرَّجُلِ: قَلْبُهُ لَمْ يَجِدِ الرَّاحَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فِي الْإِيمَانِ، فَظَلَّ يَتَخَبَّطُ فِي الدُّنْيَا، يَرْكُضُ وَرَاءَ شَهَوَاتِهَا بِلَا نِهَايَةٍ، لَا يَشْبَعُ مِنْ مَالٍ وَلَا جَاهٍ، دَائِماً فِي لَهْثٍ وَتَعَبٍ وَشَقَاءٍ، سَوَاءً حَصَلَ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ أَمْ لَمْ يَحْصُلْ. لَقَدْ كَانَ عِلْمُهُ كَعَدَمِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ مِنْ قَدْرِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦]. أَيْ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَرْفَعَ قَدْرَهُ بِهَذَا الْعِلْمِ وَأَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ الزَّيْغِ، لَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا (أَخْلَدَ إِلَىٰ الْأَرْضِ)، وَأَنْ يَتَّبِعَ مَا تَشْتَهِي نَفْسُهُ مِنَ الْبَاطِلِ، فَكَانَتْ نِهَايَتُهُ وَخِيمَةً.

ثُمَّ يَخْتِمُ اللهُ الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٦-١٧٨]. هَذَا الْمَثَلُ يَنْطَبِقُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَهَا، وَظَلَمَ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ هَوَاهُ وَالشَّيْطَانِ. إِنَّهَا دَعْوَةٌ لَنَا لِنَتَفَكَّرَ فِي عَوَاقِبِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، وَأَنَّ مَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ بِعَدْلِهِ، فَلَا أَحَدَ يَهْدِيهِ، بَلْ يَتْرُكَهُ فِي غَفْلَتِهِ وَضَلَالِهِ يَتَخَبَّطُ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ الَّذِي آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: خُطُورَةُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ: الْعِلْمُ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي لِنَجَاةِ الْإِنْسَانِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُقْرَنَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ، وَإِلَّا فَقَدْ يَكُونُ وَبَالاً عَلَىٰ صَاحِبِهِ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: قُوَّةُ الْإِغْرَاءِ بِالدُّنْيَا: يَجِبُ عَلَيْنَا الْحَذَرُ الشَّدِيدُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالشَّهَوَاتِ، فَهِيَ قَدْ تُضِلُّ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحَقِّ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ عَالِمًا.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ مُبِينٌ: الشَّيْطَانُ يَتَرَبَّصُ بِالْإِنْسَانِ، فَإِذَا وَجَدَ ضَعْفًا فِي إِيمَانِهِ أَوْ حُبًّا لِلدُّنْيَا، انْقَضَّ عَلَيْهِ لِيُوقِعَهُ فِي الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ سَبَبُ الْهَلَاكِ: عِنْدَمَا يَتَّبِعُ الْإِنْسَانُ هَوَاهُ وَيُقَدِّمُهُ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ وَرِضَاهُ، فَإِنَّهُ يُهْلِكُ نَفْسَهُ وَيَخْسَرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ:** قِيمَةُ التَّدَبُّرِ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ: الْقَصَصُ الْقُرْآنِيَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حِكَايَاتٍ، بَلْ هِيَ عِظَاتٌ وَعِبَرٌ عَمِيقَةٌ تَدْعُونَا لِلتَّفْكِيرِ وَالتَّأَمُّلِ فِي سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ.
- **الْأَبُ: الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ:** جَزَاءُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ: مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَظَلَمَ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ الضَّلَالِ، فَإِنَّ نِهَايَتَهُ سَتَكُونُ وَخِيمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

***

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: الثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ وَحِفْظُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ

أَحْبَابِي الْكِرَامَ فِي لِقَائِنَا الْمُتَجَدِّدِ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! بَعْدَ قِصَّةِ أَصْحَابِ السَّبْتِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ رَائِعَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَعَنْ قُدْرَةِ اللهِ الْعَجِيبَةِ فِي حِفْظِ أَوْلِيَائِهِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَهَذَا هُوَ سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِسُورَةِ الْكَهْفِ. إِنَّهَا قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

أَبْنَائِي، الْيَوْمَ سَنُبْحِرُ مَعًا فِي قِصَّةٍ جَمِيلَةٍ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَعَنْ قُدْرَةِ اللهِ الْعَجِيبَةِ فِي حِفْظِ أَوْلِيَائِهِ. هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ قِصَّةِ فِتْيَةٍ آمَنُوا، فَنَامُوا لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، هَذِهِ تَبْدُو قِصَّةً غَرِيبَةً وَمُثِيرَةً! نَوْمٌ لِقُرُونٍ عَدِيدَةٍ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ! كَانَ هُنَاكَ مَلِكٌ ظَالِمٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَيُعَذِّبُ كُلَّ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ. فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، ظَهَرَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفِتْيَةِ الصَّالِحِينَ، كَانُوا قَلِيلِينَ فِي عَدَدِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَظِيمِي الْإِيمَانِ. لَقَدْ رَفَضُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَآمَنُوا بِرَبٍّ وَاحِدٍ أَحَدٍ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، كَيْفَ كَانَتْ شَجَاعَتُهُمْ عَظِيمَةً، أَنْ يُخَالِفُوا مَلِكًا جَبَّاراً فِي زَمَنٍ قَلَّ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ.

سَارَةُ: وَمَاذَا فَعَلُوا عِنْدَمَا رَفَضُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ؟ هَلْ عَذَّبَهُمُ الْمَلِكُ؟

الْأَبُ: لَقَدْ خَافُوا مِنْ بَطْشِ الْمَلِكِ يَا سَارَةُ، لَكِنَّ إِيمَانَهُمْ كَانَ أَقْوَىٰ مِنْ خَوْفِهِمْ. قَرَّرُوا أَنْ يَهْرُبُوا بِدِينِهِمْ، وَيَتْرُكُوا كُلَّ شَيْءٍ خَلْفَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَخَرَجُوا مِنْ مَدِينَتِهِمْ، وَابْتَعَدُوا عَنِ النَّاسِ، حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ كَهْفٍ فِي الْجَبَلِ. كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مَلِيئَةً بِالثِّقَةِ بِاللهِ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ يَفِرُّ إِلَىٰ اللهِ، سَيَجِدُ الْأَمَانَ وَالْعَوْنَ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ عَاشُوا فِي الْكَهْفِ؟ وَكَيْفَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟

الْأَبُ: هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْأَعْجَبُ مِنَ الْقِصَّةِ يَا خَدِيجَةُ. عِنْدَمَا دَخَلُوا الْكَهْفَ، دَعَوْا رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَقَالُوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠]. فَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَائِهِمْ اسْتِجَابَةً لَمْ يَتَوَقَّعُوهَا. لَقَدْ ضَرَبَ اللهُ عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ، فَنَامُوا نَوْمًا عَمِيقًا وَطَوِيلاً جِدّاً، وَلَمْ يَسْتَيْقِظُوا إِلَّا بَعْدَ مُرُورِ سِنِينَ عَدِيدَةٍ، ثَلَاثِمِئَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ! سُبْحَانَ اللهِ، أَنَامَهُمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ، وَكَأَنَّهُمْ نَامُوا لَيْلَةً وَاحِدَةً أَوْ جُزْءًا مِنْ يَوْمٍ، وَذَلِكَ لِيَحْفَظَهُمْ مِنْ شَرِّ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ سَيَبْطِشُ بِهِمْ.

أُسَامَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! ثَلَاثِمِئَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ! هَلْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظُوا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ، لَقَدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْمَدِينَةِ. لَقَدْ مَاتَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ، وَجَاءَ مَلِكٌ صَالِحٌ، وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ. عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ الْفِتْيَةُ، كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالْجُوعِ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَهُمْ بِبَعْضِ النُّقُودِ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَمَرُوهُ أَنْ يَكُونَ حَذِراً حَتَّىٰ لَا يَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الظَّالِمِ. وَالْآنَ تَخَيَّلُوا دَهْشَتَهُ عِنْدَمَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وَرَأَىٰ وُجُوهًا لَمْ يَعْرِفْهَا، وَمَبَانِيَ جَدِيدَةً، وَكُلَّ شَيْءٍ غَرِيبٍ وَعَجِيبٍ.

سَارَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ فِي الْمَدِينَةِ؟ هَلِ اكْتَشَفَ النَّاسُ أَمْرَهُمْ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ. عِنْدَمَا ذَهَبَ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ، أَعْطَىٰ الْبَائِعَ الْعُمْلَةَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ، فَاسْتَغْرَبَ الْبَائِعُ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَصْدَرِهَا. وَهَكَذَا، انْكَشَفَ أَمْرُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَلِمَ النَّاسُ بِقِصَّتِهِمُ الْعَجِيبَةِ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً عَظِيمَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَدَلِيلاً عَلَىٰ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ الْبَعْثِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ. لَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ فِي وَقْتٍ كَانَ النَّاسُ فِيهِ يَتَنَازَعُونَ حَوْلَ مَسْأَلَةِ الْبَعْثِ، فَكَانَتْ دَلِيلاً قَاطِعًا لَهُمْ.

خَدِيجَةُ: هَذَا مُذْهِلٌ يَا أَبِي! فَسُبْحَانَ اللهِ الَّذِي قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ.

الأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ. لَقَدْ عَادَ الْفِتْيَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ كَهْفِهِمْ وَمَاتُوا فِيهِ، لَكِنَّ قِصَّتَهُمْ بَقِيَتْ خَالِدَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لِتَكُونَ نُوراً لَنَا جَمِيعاً.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا شُجْعَانُ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الثَّبَاتُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ وَالْأَخْطَارُ، فَاللهُ يَحْفَظُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ وَيُكْرِمُهُمْ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: قُدْرَةُ اللهِ عَظِيمَةٌ عَلَىٰ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَحِفْظِ أَوْلِيَائِهِ، حَتَّىٰ لَوْ بَدَا الْأَمْرُ مُسْتَحِيلاً فِي أَعْيُنِ الْبَشَرِ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْفِرَارُ بِالدِّينِ مِنَ الْفِتَنِ وَالِاضْطِهَادِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، فَالْحِفَاظُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ أَهَمُّ مِنْ أَيِّ مَكَاسِبَ دُنْيَوِيَّةٍ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: النَّوْمُ وَالْمَوْتُ وَالْإِحْيَاءُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلٌ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ بَعْثِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- **الأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَلِيءٌ بِالْقِصَصِ الْعَجِيبَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ، الَّتِي تُعَلِّمُنَا الْكَثِيرَ عَنْ عَظَمَةِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

***

قِصَّةُ الْمَزْرَعَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي احْتَرَقَتْ: دَرْسٌ فِي الشُّكْرِ وَعَوَاقِبِ الْغُرُورِ

أَحْبَابِي الْأَعِزَّاءَ، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! يَسْعَدُنِي أَنَّكُمْ مَا زِلْتُمْ مُتَشَوِّقِينَ لِسَمَاعِ الْمَزِيدِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ الْعَظِيمَةِ.

بَعْدَ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ رَائِعَةٍ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنْ أَهَمِّيَّةِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ، وَعَنْ عَوَاقِبِ الْغُرُورِ وَالْكِبْرِ، وَكَيْفَ أَنَّ النِّعَمَ قَدْ تُسْلَبُ إِذَا لَمْ نَشْكُرِ اللهَ عَلَيْهَا. إِنَّهَا قِصَّةُ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ.

الْيَوْمَ سَنَحْكِي قِصَّةً تُبَيِّنُ لَنَا كَيْفَ أَنَّ اللهَ يُنْعِمُ عَلَىٰ بَعْضِ عِبَادِهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْخَيْرِ، وَكَيْفَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَنْسَوْنَ الشُّكْرَ وَيُصَابُونَ بِالْغُرُورِ، فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُمْ وَخِيمَةً. قِصَّةُ رَجُلٍ امْتَلَكَ جَنَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، لَكِنَّهُ نَسِيَ فَضْلَ اللهِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ تَحْمِلُ دَرْسًا مُهِمًّا؟

أُسَامَةُ: وَمَا مَعْنَىٰ "الْجَنَّتَيْنِ"؟

الْأَبُ: الْجَنَّتَانِ يَا أُسَامَةُ هُمَا بُسْتَانَانِ عَظِيمَانِ، فِيهِمَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، مِنْهَا الْأَعْنَابُ وَالنَّخِيلُ، وَالزُّرُوعُ، وَتَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ خِلَالِهِمَا. لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بِجَنَّتَيْنِ رَائِعَتَيْنِ، كَانَتَا مُثْمِرَةً جِدًّا، تُعْطِي ثِمَارَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَا يَنْقَطِعُ خَيْرُهُمَا. كَانَتَا آيَةً مِنْ آيَاتِ الْجَمَالِ وَالنِّعَمِ.

تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنَّ لَدَيْكُمْ بُسْتَانَيْنِ وَاسِعَيْنِ كَهَذَيْنِ، مَلِيئَيْنِ بِكُلِّ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ فَاكِهَةٍ وَخَضْرَاوَاتٍ، وَتَجْرِي فِيهِمَا الْأَنْهَارُ، فَمَا أَجْمَلَ ذَلِكَ!

سَارَةُ: يَا لَهُ مِنْ رِزْقٍ عَظِيمٍ! وَمَاذَا فَعَلَ صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ بِهَذَا الرِّزْقِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَلِيلَ الشُّكْرِ، كَثِيرَ الْغُرُورِ وَالْكِبْرِ. كَانَ يَتَفَاخَرُ بِجَنَّتَيْهِ أَمَامَ صَدِيقٍ لَهُ مُؤْمِنٍ بِاللهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الكهف: ٣٤]. لَقَدْ

ظَنَّ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ جَاءَتْ بِجُهْدِهِ وَذَكَائِهِ، وَنَسِيَ أَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ لِلَّهِ. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بِالْكُفْرِ بِالنِّعْمَةِ، وَقَالَ: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الكهف:٣٥]. أَيْ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ سَتَبْقَيَانِ لَهُ لِلْأَبَدِ، وَلَنْ تُهْلَكَا أَبَداً. يَا لَهَا مِنْ غَفْلَةٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، وَنَسِيَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ زَائِلٌ إِلَّا وَجْهَ اللهِ!

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُ صَدِيقُهُ الْمُؤْمِنُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ نَصَحَهُ صَدِيقُهُ الْمُؤْمِنُ نَصِيحَةً عَظِيمَةً، مُذَكِّراً إِيَّاهُ بِفَضْلِ اللهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ. قَالَ لَهُ: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الكهف:٣٧-٣٨]. ثُمَّ قَالَ لَهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة الكهف:٣٩]. أَيْ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقُولَ عِنْدَمَا رَأَيْتَ جَنَّتَكَ، هَذَا كُلُّهُ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَبِقُوَّتِهِ لَا بِقُوَّتِي.

أُسَامَةُ: وَهَلِ اسْتَجَابَ صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ لِنَصِيحَةِ صَدِيقِهِ؟

الْأَبُ: لِلْأَسَفِ يَا أُسَامَةُ، لَمْ يَسْتَجِبْ بَلِ اسْتَمَرَّ فِي غَيِّهِ وَكِبْرِهِ. وَهُنَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ. فَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، أَوْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَىٰ جَنَّتَيْهِ عَذَاباً مِنَ السَّمَاءِ، فَقَضَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِمَا. تَحَوَّلَتِ الْأَشْجَارُ الْمُثْمِرَةُ وَالْأَعْنَابُ الْجَمِيلَةُ اللَّذِيذَةُ وَالنَّخِيلُ الْمُحَمَّلُ بِأَجْمَلِ التُّمُورِ إِلَىٰ خَرَابٍ، وَأَصْبَحَ مَاءُ النَّهْرِ غَائِراً فِي الْأَرْضِ. يَا لَهَا مِنْ نِهَايَةٍ حَزِينَةٍ! فَقَدْ خَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ بِسَبَبِ كِبْرِهِ وَغُرُورِهِ وَعَدَمِ شُكْرِهِ لِنِعَمِ اللهِ.

سَارَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ نَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، بَعْدَ أَنْ رَأَىٰ جَنَّتَيْهِ وَقَدْ أَصْبَحَتَا خَرَابًا، نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا، وَتَمَنَّىٰ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ. لَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ كُلَّ النِّعَمِ بِيَدِ اللهِ، وَأَنَّهَا قَدْ تُسْلَبُ فِي لَحْظَةٍ إِذَا لَمْ تُشْكَرْ. قَالَ وَهُوَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [سورة الكهف:٤٢]. لَقَدْ جَاءَ النَّدَمُ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ أَنْ فَاتَ الْأَوَانُ وَضَاعَتِ النِّعَمُ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَىٰ النِّعَمِ وَاجِبٌ أَسَاسِيٌّ، فَبِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ، وَبِالْكُفْرِ بِهَا تَزُولُ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْغُرُورُ وَالْكِبْرُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تُبْعِدُ الْإِنْسَانَ عَنِ اللهِ وَعَنِ النَّاسِ، وَتُؤَدِّي إِلَىٰ الْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهَا زَائِلَةٌ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هِيَ الَّتِي تَدُومُ وَتَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْمُؤْمِنُ يَنْصَحُ أَخَاهُ إِذَا رَآهُ يَقَعُ فِي الْخَطَأِ، وَيُذَكِّرُهُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَسْتَجِبْ فِي الْبِدَايَةِ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: اللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ سَلْبِ النِّعَمِ مِنَ الْعِبَادِ مَتَىٰ شَاءَ، لِذَا يَجِبُ أَنْ نَكُونَ دَائِمًا شَاكِرِينَ خَاضِعِينَ لِفَضْلِهِ.

***

قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ: الْقُوَّةُ فِي خِدْمَةِ الْعَدْلِ

أَهْلاً بِكُمْ يَا رِجَالَ الْمُسْتَقْبَلِ وَيَا أَتْبَاعَ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! يَسْعَدُنِي حَمَاسُكُمْ الدَّائِمُ لِلِاسْتِزَادَةِ مِنْ مَعِينِ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمُبَارَكَةِ.

بَعْدَ قِصَّةِ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ عَظِيمَةٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ أَيْضاً، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنِ الْقُوَّةِ وَالْعَدْلِ، وَعَنْ مُسَاعَدَةِ الْمَظْلُومِينَ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ يُسَخِّرُ لِبَعْضِ عِبَادِهِ أَسْبَابَ الْمُلْكِ وَالْقُوَّةِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ. إِنَّهَا قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

سَنَحْكِي قِصَّةَ مَلِكٍ عَادِلٍ وَقَوِيٍّ، طَافَ الْأَرْضَ، وَبَسَطَ الْعَدْلَ، وَسَاعَدَ الضُّعَفَاءَ، وَذَلِكَ كُلَّهُ بِقُوَّةٍ أَعْطَاهَا لَهُ اللهُ. هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ قِصَّةِ مَلِكٍ عَظِيمٍ بَنَىٰ سَدّاً مَنِيعاً؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، مُتَشَوِّقُونَ جِدّاً! مَنْ هُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ؟ وَهَلْ كَانَ لَهُ قَرْنَانِ حَقِيقِيَّانِ؟

الْأَبُ: ذُو الْقَرْنَيْنِ يَا أُسَامَةُ هُوَ مَلِكٌ صَالِحٌ وَعَظِيمٌ، لَيْسَ نَبِيّاً، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْداً لِلَّهِ مُؤْمِناً وَمُطِيعاً. سُمِّيَ "ذَا الْقَرْنَيْنِ" لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَىٰ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمَغْرِبِهَا، فَكَأَنَّمَا مَلَكَ طَرَفَيِ الْأَرْضِ. إِنَّهُ مَلِكٌ آتَاهُ اللهُ قُوَّةً عَظِيمَةً، وَعِلْماً، وَأَسْبَاباً لِتَمْكِينِهِ فِي الْأَرْضِ، فَكَانَ يَنْصُرُ الْحَقَّ وَيُقِيمُ الْعَدْلَ.

سَارَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَا أَبِي؟ أَيْنَ ذَهَبَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ بَدَأَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رِحْلَاتِهِ الْعَظِيمَةَ، فَتَوَجَّهَ أَوَّلاً إِلَىٰ جِهَةِ الْمَغْرِبِ، وَسَارَ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مَكَانٍ يَبْدُو فِيهِ أَنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ، أَيْ عَيْنِ مَاءٍ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدَ. وَهُنَاكَ وَجَدَ قَوْماً. وَقَدْ خَيَّرَهُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ أَوْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمْ. تَخَيَّلُوا يَا صِغَارِي، أَنَّ اللهَ يُعْطِيكُمْ قُوَّةً عَظِيمَةً عَلَىٰ النَّاسِ، فَمَاذَا سَتَفْعَلُونَ؟

خَدِيجَةُ: بِالتَّأْكِيدِ سَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ يَا أَبِي، لِأَنَّهُ مَلِكٌ صَالِحٌ!

الْأَبُ: أَحْسَنْتِ يَا خَدِيجَةُ! لَقَدْ قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الكهف:٨٧-٨٨]. لَقَدْ أَظْهَرَ عَدْلَهُ، فَكَانَ يُعَاقِبُ الظَّالِمَ وَيُكَافِئُ الْمُحْسِنَ.

ثُمَّ اتَّجَهَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي رِحْلَتِهِ الثَّانِيَةِ نَحْوَ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، وَسَارَ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مَكَانٍ تُشْرِقُ فِيهِ الشَّمْسُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَا سَاتِرَ لَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ، أَيْ أَنَّهُمْ يَعِيشُونَ فِي أَرْضٍ مَكْشُوفَةٍ. وَقَدْ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَأَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ قَدْ أَحَاطَ بِمَكَانِهِمْ وَمَا حَوْلَهُمْ.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ فِي رِحْلَتِهِ الثَّالِثَةِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: هَذِهِ هِيَ الرِّحْلَةُ الْأَهَمُّ يَا أُسَامَةُ. لَقَدِ اتَّجَهَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي رِحْلَتِهِ الثَّالِثَةِ إِلَىٰ مَكَانٍ بَيْنَ سَدَّيْنِ، أَيْ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ. وَهُنَاكَ وَجَدَ قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامًا. لَقَدْ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي خَوْفٍ دَائِمٍ مِنْ قَوْمَيْنِ مُفْسِدَيْنِ اسْمُهُمَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ. كَانَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، يَخْرُجُونَ مِنْ بَيْنِ الْجَبَلَيْنِ لِيُهَاجِمُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَيُلْحِقُوا بِهِمُ الْأَذَىٰ.

سَارَةُ: وَهَلْ سَاعَدَهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، لَقَدْ طَلَبَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُمْ سَدّاً يَفْصِلُهُمْ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعُوا لَهُ مَالاً مُقَابِلَ ذَلِكَ. لَكِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ الْعَادِلَ الْمُؤْمِنَ قَالَ لَهُمْ: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ [سورة الكهف:٩٥]. أَيْ إِنَّ مَا أَعْطَانِي إِيَّاهُ رَبِّي مِنْ

قُوَّةٍ وَمَالٍ خَيْرٌ مِنْ أَجْرِكُمْ، فَلَا أُرِيدُ مَالاً، وَلَكِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُسَاعِدُونِي بِجُهْدِكُمْ وَعَمَلِكُمْ. يَا لَهُ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ لَا يُرِيدُ جَزَاءً دُنْيَوِيًا، بَلْ يُرِيدُ مَرْضَاةَ اللهِ وَمُسَاعَدَةَ الْمَظْلُومِينَ!

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا بَنَىٰ لَهُمْ؟ وَكَيْفَ كَانَ السَّدُّ؟

الْأَبُ: لَقَدْ طَلَبَ مِنْهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ قِطَعَ الْحَدِيدِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُشْعِلُوا النَّارَ عَلَىٰ هَذَا الْحَدِيدِ حَتَّىٰ يُصْبِحَ كَالْمَاءِ الذَّائِبِ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ النُّحَاسَ الْمَصْهُورَ لِيُلْقُوهُ عَلَىٰ هَذَا الْحَدِيدِ. تَخَيَّلُوا يَا صِغَارِي، بِنَاءً عَظِيمًا كَهَذَا! سَدٌّ مِنَ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ الْمَصْهُورِ، لَا يَسْتَطِيعُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ يَخْتَرِقُوهُ أَوْ يَتَسَلَّقُوهُ. لَقَدْ كَانَ سَدّاً عَظِيمًا جِدّاً، حَجَزَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ عَنِ النَّاسِ، فَعَمَّ الْأَمْنُ وَالطُّمَأْنِينَةُ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ.

أُسَامَةُ: وَهَلْ بَقِيَ السَّدُّ مَوْجُوداً إِلَىٰ الْآنَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ، السَّدُّ مَا زَالَ قَائِمًا، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مَحْجُوزُونَ خَلْفَهُ إِلَىٰ يَوْمٍ قَرِيبٍ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، حَيْثُ سَيَخْرُجُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ. لَقَدْ كَانَتْ قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ دَرْسًا عَظِيمًا لَنَا جَمِيعًا، تُعَلِّمُنَا كَيْفَ أَنَّ الْقُوَّةَ يَجِبُ أَنْ تُسْتَخْدَمَ فِي الْخَيْرِ وَالْعَدْلِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ يُسَخِّرُ بَعْضَ عِبَادِهِ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْقُوَّةُ وَالْمُلْكُ إِذَا اسْتُخْدِمَا فِي الْخَيْرِ وَالْعَدْلِ، يَكُونَانِ نِعْمَةً عَظِيمَةً مِنَ اللهِ، وَيُجَازِي اللهُ عَلَيْهِمَا خَيْراً كَثِيراً.

- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْعَدْلُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ مُهِمٌّ جِدّاً، فَيَجِبُ أَنْ نُعَاقِبَ الظَّالِمَ وَنُكَافِئَ الْمُحْسِنَ.
- **سَارَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: مُسَاعَدَةُ الضُّعَفَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ قَادِرٍ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ مَا فِي وُسْعِنَا لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ.
- **خَدِيجَةُ: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ أَسَاسُ الْبَرَكَةِ وَالْقَبُولِ، فَلَا نَنْتَظِرُ الْأَجْرَ مِنَ النَّاسِ، بَلْ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: اللهُ يُسَخِّرُ الْكَوْنَ وَمَا فِيهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُمَكِّنُهُمْ فِي الْأَرْضِ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

***

قِصَّةُ سَبَأٍ: عَاقِبَةُ الْبَطَرِ وَعَدَمِ الشُّكْرِ

مَرْحَبًا بِكُمْ أَحْبَابِي، الْأَبْطَالُ، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! يَسْعَدُنِي حَمَاسُكُمْ الدَّائِمُ لِسَمَاعِ الْمَزِيدِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَمْلَأُ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ وَالْعِبَرِ.

هَيَّا بِنَا أَوْلَادِي نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ رَائِعَةٍ وَمُحْزِنَةٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ، قِصَّةٍ تَحْكِي عَنْ قَوْمٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمُ الدَّمَارَ وَالشَّتَاتَ. هَذِهِ الْقِصَّةُ مَذْكُورَةٌ فِي سُورَةِ سَبَأٍ. إِنَّهَا قِصَّةُ سَبَأٍ وَالسَّدِّ.

الْيَوْمَ سَنَحْكِي قِصَّةَ مَمْلَكَةٍ كَانَتْ تَعِيشُ فِي رَخَاءٍ وَنَعِيمٍ، وَكَانَتْ فِي الْيَمَنِ فِي مَأْرِبَ حَالِيًّا. وَلَكِنَّهَا نَسِيَتْ شُكْرَ اللهِ، فَتَبَدَّلَتْ أَحْوَالُهَا مِنْ جَنَّاتٍ وَارِفَةٍ إِلَىٰ صَحْرَاءَ قَاحِلَةٍ. أُمَّةٍ كَانَتْ آيَةً فِي النِّعْمَةِ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ عِبْرَةً فِي الْعَذَابِ؟

لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ لَا تُحْصَىٰ، فَقَدْ كَانَتْ أَرْضُهُمْ طَيِّبَةً، وَمُنَاخُهَا مُعْتَدِلاً، وَكَانَ لَدَيْهِمْ جَنَّتَانِ عَظِيمَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، أَيْ بَسَاتِينُ وَاسِعَةٌ وَكَثِيرَةٌ جِدّاً، مَلِيئَةٌ بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ وَالزُّرُوعِ الْخَضْرَاءِ. وَكَانَتْ أَرْضُهُمْ مُبَارَكَةً لِدَرَجَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي تَحْتَ الْأَشْجَارِ دُونَ أَنْ تَحْمِلَ مَعَهَا طَعَامًا، فَتَأْكُلُ مِنَ الثِّمَارِ الْوَفِيرَةِ وَهِيَ تَسِيرُ! وَتَتَسَاقَطُ الْفَوَاكِهُ النَّاضِجَةُ فِي إِنَائِهَا بِمَا لَذَّ وَطَابَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنْ تَعِيشُوا فِي أَرْضٍ كَهَذِهِ، لَا تَحْتَاجُونَ فِيهَا لِجُهْدٍ كَبِيرٍ لِتَحْصِيلِ الطَّعَامِ، فَالرِّزْقُ مُتَوَفِّرٌ بِكَثْرَةٍ!

سَارَةُ: يَا لَهُ مِنْ نَعِيمٍ عَظِيمٍ! وَمَا هُوَ "السَّدُّ" يَا أَبِي؟

الْأَبُ: بِجَانِبِ هَذِهِ النِّعَمِ، كَانَ لَدَيْهِمْ أَيْضاً سَدٌّ عَظِيمٌ يُعْرَفُ بِسَدِّ مَأْرِبَ. هَذَا السَّدُّ كَانَ بِنَاءً هَنْدَسِيّاً رَائِعاً، بُنِيَ لِجَمْعِ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَالسُّيُولِ، ثُمَّ تَوْزِيعِهَا بِانْتِظَامٍ عَلَىٰ الْبَسَاتِينِ وَالْحُقُولِ. بِفَضْلِ اللهِ ثُمَّ بِوُجُودِ هَذَا السَّدِّ، وَكَانَتِ الْمِيَاهُ مُتَوَفِّرَةً دَائِماً لِرَيِّ مَزَارِعِهِمْ، فَكَانَتْ ثِمَارُهُمْ دَائِمَةً وَخَيْرَاتُهُمْ وَفِيرَةً. وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَيْضاً بِالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، فَكَانُوا يُسَافِرُونَ بَيْنَ قُرَاهُمْ آمِنِينَ، دُونَ خَوْفٍ مِنْ قُطَّاعِ الطُّرُقِ أَوِ الْأَعْدَاءِ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ شَكَرُوا اللهَ عَلَىٰ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ؟

الْأَبُ: مِنَ الْمُؤْسِفِ يَا خَدِيجَةُ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الرَّخَاءِ، بَطِرَتْ نُفُوسُهُمْ، وَغَفَلُوا عَنْ شُكْرِ اللهِ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ. لَقَدْ زَادَهُمْ غِنَاهُمْ كِبْراً وَغُرُوراً، وَنَسُوا أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ. فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَسْتَقِيمُوا عَلَىٰ دِينِ اللهِ وَيَشْكُرُوهُ، كَفَرُوا بِالنِّعَمِ وَأَعْرَضُوا عَنِ الشُّكْرِ. يَا لَهَا مِنْ خَيْبَةٍ، أَنْ يَرَىٰ الْإِنْسَانُ كُلَّ هَذَا الْخَيْرِ، ثُمَّ يَنْسَىٰ مَصْدَرَهُ وَيَتَكَبَّرَ!

أُسَامَةُ: وَمَاذَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِالنِّعَمِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الشُّكْرِ، جَاءَ أَمْرُ اللهِ بِعِقَابِهِمْ. لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ. "الْعَرِمُ" هُوَ السَّدُّ نَفْسُهُ الَّذِي كَانَ يُغْنِيهِمْ، لَكِنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَلَيْهِ سَيْلاً عَظِيماً قَوِيّاً، فَتَهَدَّمَ السَّدُّ، وَانْدَفَعَتِ الْمِيَاهُ بِقُوَّةٍ جَارِفَةٍ، فَأَغْرَقَتْ كُلَّ تِلْكَ الْبَسَاتِينِ وَالْجَنَّاتِ الْوَارِفَةِ، وَحَوَّلَتْهَا إِلَىٰ أَرْضٍ خَرَابٍ.

سَارَةُ: يَا اللهُ! هَلْ دُمِّرَتْ كُلُّ جَنَّاتِهِمْ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ. تِلْكَ الْجَنَّاتُ الْغَنَّاءُ، الَّتِي كَانَتْ مَلِيئَةً بِالْأَعْنَابِ وَالنَّخِيلِ وَالرُّمَّانِ، وَالْبُرْتُقَالِ، تَحَوَّلَتْ إِلَىٰ أَرْضٍ خَرَابٍ، لَمْ يَتَبَقَّ مِنْهَا إِلَّا أَشْجَارٌ قَلِيلَةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا، مِثْلُ الْأَثْلِ

وَشَيْءٍ مِنَ السِّدْرِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة سبأ:١٦].

لَقَدْ أَصْبَحَتْ أَرْضُهُمُ الْقَاحِلَةُ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يُكَفِّرُ بِنِعَمِ اللهِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ لِقَوْمِ سَبَأٍ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ تَفَرَّقَ قَوْمُ سَبَأٍ فِي الْأَرْضِ يَا خَدِيجَةُ. بَعْدَ أَنْ دُمِّرَتْ بِلَادُهُمْ، اضْطُرُّوا إِلَىٰ الرَّحِيلِ وَالشَّتَاتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَصْبَحُوا حَدِيثَ النَّاسِ وَضَرْبَ الْأَمْثَالِ فِي عَاقِبَةِ كُفْرِ النِّعَمِ. لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَرْسًا عَظِيمًا لَنَا جَمِيعًا، تُعَلِّمُنَا أَنَّ النِّعَمَ لَا تَدُومُ إِلَّا بِالشُّكْرِ، وَأَنَّ الْبَطَرَ وَالْغَفْلَةَ يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ الزَّوَالِ وَالْهَلَاكِ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ سَبَأٍ وَالسَّدِّ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَىٰ النِّعَمِ وَاجِبٌ أَسَاسِيٌّ، فَبِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعَمُ وَتَزِيدُ، وَبِكُفْرِهَا تَزُولُ وَتَتَبَدَّلُ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْغُرُورُ وَالْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ سَلْبِهَا وَالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ، فَيَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْعَدْلُ فِي حُكْمِ اللهِ، فَهُوَ يُعَاقِبُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ بَعْدَ أَنْ يُمْهِلَهُمْ وَيُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَالْإِنْذَارَاتِ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْعِبْرَةُ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَقَصَصُهُمْ فِي الْقُرْآنِ هِيَ دُرُوسٌ لَنَا لِنَتَعَلَّمَ مِنْهَا وَنَتَجَنَّبَ أَخْطَاءَهُمْ.

- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: لَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ أَمَامَ قُوَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ شَيْئًا كَانَ، وَإِذَا أَرَادَ سَلْبَ نِعْمَةٍ سَلَبَهَا فِي لَحْظَةٍ.

***

قِصَّةُ قَارُونَ

أهلاً بِكُمْ يَا أَحِبَّائِي الشُّجْعَانَ فِي لِقَاءٍ جَدِيدٍ مِنْ لِقَاءَاتِ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. الْيَوْمَ سَنَحْكِي قِصَّةَ رَجُلٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ وَالْكُنُوزِ، لَكِنَّهُ نَسِيَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ، وَتَكَبَّرَ وَتَفَاخَرَ بِمَالِهِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةً جِدًّا. هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِسَمَاعِ قِصَّةِ الثَّرَاءِ الْكَثِيرِ وَالْعُقُوبَةِ الْإِلَهِيَّةِ؟

أُسَامَةُ: نَعَمْ يَا أَبِي، مُتَشَوِّقُونَ جِدًّا! هَلْ كَانَ أَغْنَىٰ رَجُلٍ فِي زَمَانِهِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ، كَانَ قَارُونُ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ مِنَ الْكُنُوزِ وَالْأَمْوَالِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ لَتَنُوءُ مِنْ حَمْلِهَا قُوَّةَ الرِّجَالِ. أَيْ أَنَّ مَفَاتِيحَ هَذِهِ الْخَزَائِنِ وَحْدَهَا كَانَتْ ثَقِيلَةً جِدًّا، يَحْتَاجُ حَمْلُهَا إِلَىٰ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ الْأَقْوِيَاءِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنَّ لَدَيْكُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْفِضَّةِ مَا تَمْلَأُونَ بِهِ الْغُرَفَ، حَتَّىٰ أَنَّ مَفَاتِيحَهَا فَقَطْ تَحْتَاجُ إِلَىٰ رِجَالٍ لِحَمْلِهَا! فَكَيْفَ بِالْأَمْوَالِ؟! يَا لَهُ مِنْ ثَرَاءٍ عَظِيمٍ!

سَارَةُ: يَا لَهُ مِنْ مَالٍ كَثِيرٍ! وَهَلْ كَانَ يَشْكُرُ اللهَ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لِلْأَسَفِ يَا سَارَةُ، لَمْ يَشْكُرْ قَارُونُ اللهَ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ. بَلْ زَادَهُ هَذَا الْمَالُ كِبْرًا وَغُرُورًا. لَقَدْ خَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي أَبْهَىٰ زِينَتِهِ، مُرْتَدِيًا أَجْمَلَ الثِّيَابِ، وَمُحَاطًا بِمَنْ يُزَيِّنُهُ وَيُخْدِمُهُ، يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ لِلنَّاسِ غِنَاهُ وَقُوَّتَهُ. تَخَيَّلُوا رَجُلًا يَخْرُجُ فِي مَوْكِبٍ فَخْمٍ، تَتَلَأْلَأُ فِيهِ الْمُجَوْهَرَاتُ، وَيُظْهِرُ فِيهِ كُلَّ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ، لِيَتَبَاهَىٰ بِغِنَاهُ أَمَامَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ!

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ فُتِنَ بِهَذَا الْمَنْظَرِ أُنَاسٌ مِمَّنْ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَقَالُوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [سورة القصص:٧٩]. وَهُنَا يَظْهَرُ فَضْلُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، فَقَدْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [سورة القصص:٨٠]. ثُمَّ نَصَحَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُحِبُّونَ لَهُ الْخَيْرَ، نَصِيحَةً عَظِيمَةً. قَالُوا لَهُ: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [سورة القصص:٧٦]. أَيْ لَا تَفْرَحْ فَرَحَ الْبَطَرِ وَالتَّكَبُّرِ الَّذِي يُنْسِيكَ فَضْلَ اللهِ. ثُمَّ قَالُوا لَهُ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [سورة القصص:٧٧]. لَقَدْ نَصَحُوهُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ مَالَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَأَنْ يَتَصَدَّقَ وَيُحْسِنَ إِلَىٰ النَّاسِ، وَلَا يَنْسَىٰ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ لَا يُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ بِظُلْمِهِ وَتَكَبُّرِهِ.

أُسَامَةُ: وَهَلْ اسْتَجَابَ قَارُونُ لِنَصِيحَةِ قَوْمِهِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لِلْأَسَفِ يَا أُسَامَةُ، لَمْ يَسْتَجِبْ. بَلْ زَادَهُ الْغُرُورُ وَالْكِبْرُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [سورة القصص:٧٨]. أَيْ أَنَّ هَذَا الْمَالَ جَاءَنِي بِسَبَبِ عِلْمِي وَذَكَائِي وَاجْتِهَادِي، وَنَسِيَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ. لَقَدْ كَانَ هَذَا جَوَابًا فِيهِ كِبْرٌ وَغُرُورٌ عَظِيمَانِ، وَفِيهِ إِنْكَارٌ لِفَضْلِ اللهِ.

سَارَةُ: وَمَاذَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ جَاءَ أَمْرُ اللهِ بِعِقَابِهِ بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ كُلَّ الْحُدُودِ فِي كِبْرِهِ وَغُرُورِهِ. فَفِي لَحْظَةٍ لَمْ يَتَوَقَّعْهَا، أَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ أَنْ تَبْتَلِعَهُ هُوَ وَدَارَهُ وَكُنُوزَهُ كُلَّهَا. لَقَدْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَغَاصَ فِيهَا هُوَ وَكُلُّ مَا يَمْلِكُ، وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَنْصُرُهُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ. تَخَيَّلُوا يَا أَحْبَابِي، أَنَّ الْأَرْضَ تَنْشَقُّ فَجْأَةً، وَتَبْتَلِعُ رَجُلًا بِكُلِّ أَمْوَالِهِ وَكُنُوزِهِ وَبَيْتِهِ، وَيَخْتَفِي كُلُّ شَيْءٍ فِي لَحْظَةٍ! يَا لَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ تُبَيِّنُ عَظَمَةَ اللهِ وَقُدْرَتِهِ!

خَدِيجَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ بِأَعْيُنِهِمْ. وَبَعْدَ أَنْ كَانَ النَّاسُ بِالْأَمْسِ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ قَارُونَ فِي غِنَاهُ، أَصْبَحُوا الْيَوْمَ يَقُولُونَ: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة القصص:٨٢]. لَقَدْ أَدْرَكُوا أَنَّ الْغِنَى لَيْسَ دَائِمًا نِعْمَةً، بَلْ قَدْ يَكُونُ اخْتِبَارًا، وَأَنَّ النَّجَاةَ فِي الشُّكْرِ وَالتَّوَاضُعِ، لَا فِي الْكِبْرِ وَالْبَطَرِ.

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ قَارُونَ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْأَبُ**: **الْفَائِدَةُ الْأُولَى**: الْمَالُ الْكَثِيرُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ، وَلَكِنَّهُ اخْتِبَارٌ عَظِيمٌ، فَمَنْ يَشْكُرُ اللهَ عَلَيْهِ يُبَارِكْ لَهُ، وَمَنْ يَتَكَبَّرْ وَيُبْطِرْ يُسْلَبْ مِنْهُ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْغُرُورُ وَالْكِبْرُ وَعَدَمُ الشُّكْرِ يُؤَدِّيَانِ إِلَى عُقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَجِبُ أَنْ نَكُونَ دَائِمًا مُتَوَاضِعِينَ شَاكِرِينَ.

- **سَارَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:** اسْتِخْدَامُ الْمَالِ فِي الْخَيْرِ وَابْتِغَاءِ الْآخِرَةِ بِهِ هُوَ الْفَلَاحُ الْحَقِيقِيُّ، وَلَيْسَ التَّفَاخُرَ بِهِ فِي الدُّنْيَا.
- **خَدِيجَةُ: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:** النَّصِيحَةُ بِالْمَعْرُوفِ وَاجِبَةٌ، وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُقَدِّمَهَا لِأَخِيهِ حَتَّىٰ لَوْ لَمْ يَسْتَجِبْ فِي الْبِدَايَةِ، فَالْعَاقِبَةُ بِيَدِ اللهِ.
- **الْأَبُ:** أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ:** عَظَمَةُ قُدْرَةِ اللهِ تَتَجَلَّىٰ فِي إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ، لِتَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَأَنَّ اللهَ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ. وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ الْفِتَنَ فِي حِينِ يَجْهَلُهَا عَامَّةُ النَّاسِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ نَاصِحُونَ لِلْخَلْقِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

❋❋❋

قِصَّةُ الرَّجُلِ النَّاصِحِ الَّذِي قَتَلَهُ قَوْمُهُ (صَاحِبُ يَاسِينَ)

أَهْلاً بِكُمْ يَا أَبْنَائِي الْأَعِزَّاءَ فِي رِحْلَةٍ إِيمَانِيَّةٍ جَدِيدَةٍ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمْنَا مِنَ الْقِصَصِ السَّابِقَةِ دُرُوساً عَظِيمَةً عَنِ الشُّكْرِ لِنِعْمَةِ اللهِ وَعَنْ عَاقِبَةِ الَّذِينَ يَمَلُّونَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، الْيَوْمَ سَنَنْتَقِلُ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ مُؤَثِّرَةٍ جِدّاً مِنْ سُورَةِ يَسَ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنْ أَهَمِّيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَعَنْ شَجَاعَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَعَنْ جَزَاءِ الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ. إِنَّهَا قِصَّةُ صَاحِبِ يَاسِينَ.

تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، مَدِينَةً كَبِيرَةً كَانَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَلَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَحْدَهُ. فَأَرَادَ اللهُ لَهُمُ الْهِدَايَةَ وَالْخَيْرَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ الْأَصْنَامِ.

أُسَامَةُ: وَهَلْ آمَنَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِهِمَا يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لِلْأَسَفِ يَا أُسَامَةُ، لَمْ يُؤْمِنْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهَذَيْنِ الرَّسُولَيْنِ، بَلْ كَذَّبُوهُمَا وَعَادَوْهُمَا. فَأَرْسَلَ اللهُ مَعَهُمَا رَسُولاً ثَالِثاً لِيُعَزِّزَهُمَا وَيُقَوِّيَ حُجَّتَهُمَا. فَاجْتَمَعَ ثَلَاثَةُ رُسُلٍ يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَىٰ الْحَقِّ. قَالُوا لَهُمْ: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [سورة يس:١٤]، أَيْ نَحْنُ رُسُلٌ مِنَ اللهِ إِلَيْكُمْ.

لَكِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَقَالُوا لَهُمْ: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾ [سورة يس:١٥]. لَقَدْ أَنْكَرُوا رِسَالَتَهُمْ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، وَكَذَّبُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ شَيْئاً.

سَارَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ الرُّسُلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ رَدَّ الرُّسُلُ عَلَيْهِمْ بِحِكْمَةٍ وَثَبَاتٍ، وَقَالُوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [سورة يس:١٦-١٧]. أَيْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ صِدْقَهُمْ فِي رِسَالَتِهِمْ، وَأَنَّ وَاجِبَهُمْ هُوَ تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ بِوُضُوحٍ، وَاللهُ يَتَوَلَّىٰ حِسَابَ النَّاسِ.

لَكِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمْ يَكْتَفُوا بِالتَّكْذِيبِ، بَلْ هَدَّدُوا الرُّسُلَ وَقَالُوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يس:١٨]. لَقَدْ وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَىٰ التَّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ وَالتَّعْذِيبِ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ كَانَ هُنَاكَ أَحَدٌ قَدْ آمَنَ بِالرُّسُلِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، وَهُنَا تَظْهَرُ شَجَاعَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ. بَيْنَمَا كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُكَذِّبُونَ وَيُهَدِّدُونَ، جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ، أَيْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ لِيُبَلِّغَ قَوْمَهُ الرِّسَالَةَ وَيَنْصَحَهُمْ. هَذَا الرَّجُلُ كَانَ رَجُلاً مُؤْمِنًا حَقًّا.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ لِقَوْمِهِ؟

الْأَبُ: لَقَدْ جَاءَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَهُوَ يَرَىٰ إِصْرَارَهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِلرُّسُلِ، فَقَالَ لَهُمْ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَإِخْلَاصٍ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يس:٢٠-٢١]. لَقَدْ نَصَحَهُمْ بِاتِّبَاعِ الرُّسُلِ، مُذَكِّراً إِيَّاهُمْ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ لَا يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ مَالاً أَوْ جَزَاءً عَلَىٰ دَعْوَتِهِمْ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ هُدًىً مِنْ رَبِّهِمْ.

ثُمَّ وَاصَلَ نَصِيحَتَهُ لِقَوْمِهِ، مُسْتَخْدِمًا الْحُجَّةَ وَالْعَقْلَ، فَقَالَ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يس:٢٢-٢٥]. لَقَدْ بَيَّنَ لَهُمْ بِالْعَقْلِ السَّلِيمِ أَنَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَأَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرّاً، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْفَعَ لِأَحَدٍ. وَأَعْلَنَ إِيمَانَهُ بِاللهِ أَمَامَ الْجَمِيعِ، دَاعِيًا إِيَّاهُمْ لِلِاسْتِجَابَةِ لِلرُّسُلِ.

سَارَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ قَوْمُهُ بِهِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ؟

الْأَبُ: لَمْ يَسْتَجِبْ قَوْمُهُ لِنَصِيحَتِهِ، بَلِ ازْدَادُوا عِنَاداً وَكِبْراً. لَقَدْ غَضِبُوا مِنْ فِعْلِهِ لِأَنَّهُ خَالَفَهُمْ وَأَعْلَنَ إِيمَانَهُ، فَقَامُوا بِقَتْلِهِ. قِيلَ إِنَّهُمْ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ وَطِئُوهُ بِأَقْدَامِهِمْ حَتَّىٰ مَاتَ. لَقَدِ اسْتُشْهِدَ هَذَا الشُّجَاعُ الْمُؤْمِنُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مُدَافِعًا عَنِ الْحَقِّ، وَمُبَلِّغًا رِسَالَةَ رَبِّهِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا كَانَتْ نِهَايَتُهُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ؟

الْأَبُ: وَهُنَا تَظْهَرُ عَظَمَةُ جَزَاءِ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ. بَعْدَ أَنْ اسْتُشْهِدَ قِيلَ لَهُ: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة يس:٢٦]. تَخَيَّلُوا يَا صِغَارِي، مُبَاشَرَةً بَعْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ! وَعِنْدَمَا رَأَىٰ نَعِيمَ الْجَنَّةِ، تَمَنَّىٰ الْخَيْرَ لِقَوْمِهِ، فَقَالَ: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة يس:٢٦-٢٧]. لَقَدْ تَمَنَّىٰ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَمَغْفِرَةٍ، لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ وَيَتُوبُونَ.

بَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَنْتَقِمِ اللهُ لِلرُّسُلِ وَلِلْمُؤْمِنِ هَذَا بِالْجُنُودِ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَرْسَلَ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَدِينَةِ صَيْحَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً، فَأَهْلَكَتْهُمْ جَمِيعًا، وَأَصْبَحُوا خَامِدِينَ لَا حَرَاكَ لَهُمْ. فَبَعْدَ قَتْلِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ النَّاصِحِ أَهْلَكَهُمُ اللهُ وَدَمَّرَهُمْ جَمِيعًا، وَهَكَذَا عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ الظَّالِمِينَ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ صَاحِبِ يَاسِينَ، أَيْ الَّذِي قِصَّتُهُ فِي سُورَةِ يَاسِينَ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: أَهَمِّيَّةُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ: الرُّسُلُ وَالرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ لَمْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ دَعْوَةِ قَوْمِهِمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَهَذَا يُبَيِّنُ لَنَا أَهَمِّيَّةَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: شَجَاعَةُ الْإِيمَانِ: كَانَ رَجُلاً وَاحِداً فِي مُوَاجَهَةِ قَوْمٍ كَافِرِينَ، لَكِنَّ إِيمَانَهُ مَنَحَهُ الشَّجَاعَةَ لِيَجْهَرَ بِالْحَقِّ وَيَنْصَحَ قَوْمَهُ، حَتَّىٰ لَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ حَيَاتَهُ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: جَزَاءُ الشُّهَدَاءِ وَالصَّابِرِينَ: اللهُ يُكْرِمُ مَنْ يُضَحِّي فِي سَبِيلِهِ، وَهَذَا الرَّجُلُ نَالَ جَزَاءَهُ الْعَظِيمَ بِدُخُولِهِ الْجَنَّةَ مُبَاشَرَةً.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْحِرْصُ عَلَىٰ هِدَايَةِ النَّاسِ: حَتَّىٰ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، تَمَنَّىٰ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الْخَيْرَ لِقَوْمِهِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ لَنَا مَدَىٰ حِرْصِ الْمُؤْمِنِ عَلَىٰ هِدَايَةِ غَيْرِهِ.

- **الْأَبُ: الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ:** عَاقِبَةُ التَّكْذِيبِ وَالْعِنَادِ: قِصَّةُ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ التَّكْذِيبَ وَالْعِنَادَ فِي وَجْهِ الْحَقِّ يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ هَلَاكٍ عَظِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ:** الرُّسُلُ لَا يَطْلُبُونَ أَجْراً: مِنْ عَلَامَاتِ صِدْقِ الرُّسُلِ وَالدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ أَجْراً دُنْيَوِيّاً عَلَىٰ دَعْوَتِهِمْ، بَلْ يَبْتَغُونَ وَجْهَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

***

قِصَّةُ الْجِنِّ وَاسْتِمَاعُهُمْ لِلْقُرْآنِ

أَهْلاً بِكُمْ يَا أَحْبَابِي فِيْ رِحْلَتِنَا الشَّيِّقَةِ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا قِصَصاً عَنِ الْبَشَرِ وَالْحَيَوَانِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ فَرِيدَةٍ جِدّاً تُعَرِّفُنَا عَلَىٰ مَخْلُوقَاتٍ أُخْرَىٰ خَلَقَهَا اللهُ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ تَأَثَّرُوا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. إِنَّهَا قِصَّةُ الْجِنِّ وَاسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ فِي الْقُرْآنِ، مِنْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [سورة الجن:١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [سورة الأحقاف:٢٩].

هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ عَظِيمٌ لَيْسَ لِلْبَشَرِ فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنَّ هِدَايَتَهُ تَصِلُ إِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْصِفٍ مُحِبٍّ لِلْحَقِّ.

تَأَمَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، كَيْفَ بَدَأَتْ قِصَّةُ هَؤُلَاءِ الْجِنِّ. كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا يُعْرِضُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: ذَاتَ لَيْلَةٍ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي وَادٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِصَوْتٍ جَمِيلٍ. وَكَانَتْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجِنِّ (يُسَمَّوْنَ "نَفَراً") فِي طَرِيقِهِمْ، قَادِمِينَ مِنْ نَصِيبِينَ (مِنْطَقَةٌ بَعِيدَةٌ). لَقَدْ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَوَجَدُوا أَنَّ السَّمَاءَ قَدْ حُرِسَتْ بِالشُّهُبِ، وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِهِمُ اسْتِرَاقُ السَّمْعِ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

سَارَةُ: وَلِمَاذَا حُرِسَتِ السَّمَاءُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: حُرِسَتِ السَّمَاءُ يَا سَارَةُ بِسَبَبِ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ. فَلَمَّا رَأَىٰ هَؤُلَاءِ الْجِنُّ ذَلِكَ، عَلِمُوا أَنَّ شَيْئًا عَظِيمًا قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ. فَبَدَأُوا يَبْحَثُونَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ وَجَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ! وَبَيْنَمَا هُمْ يَبْحَثُونَ، مَرُّوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِصَوْتٍ عَالٍ. فَلَمَّا سَمِعُوهُ، أَنْصَتُوا إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ وَتَدَبُّرٍ. لَقَدْ عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَيْسَ بِكَلَامِ بَشَرٍ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ لِهُدَاةِ النَّاسِ وَالْجِنِّ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿أَنصِتُوا۟﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩]. أَيْ اسْتَمِعُوا بِإِنْصَاتٍ شَدِيدٍ.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا فَعَلُوا بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعُوا؟

الْأَبُ: بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعُوا وَتَدَبَّرُوا، وَصَلَ الْقُرْآنُ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا عَنِ الْجِنِّ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ لِلشَّيَاطِينِ وَالسَّحَرَةِ. لَقَدْ آمَنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [سورة الجن: ١-٢]. لَقَدْ أَدْرَكُوا أَنَّهُ كَلَامٌ مُعْجِزٌ يَقُودُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ وَالْهُدَىٰ، وَأَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ بِاللهِ وَحْدَهُ دُونَ شَرِيكٍ.

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ، لِيُبَلِّغُوهُمْ مَا سَمِعُوهُ وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. قَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ [سورة

الأحقاف: ٣٠-٣١]. لَقَدْ دَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ، مُبَيِّنِينَ لَهُمُ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي سَيَحْصُلُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ الْجِنِّ وَاسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: عَظَمَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: الْقُرْآنُ لَيْسَ كَلَامًا بَشَرِيًّا، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ وَيَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ، حَتَّىٰ الْجِنُّ تَأَثَّرُوا بِهِ وَآمَنُوا.
- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِّ وَالتَّجَرُّدُ لَهُ: هَؤُلَاءِ الْجِنُّ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنِ الْحَقِّ وَلَمْ يَتَعَصَّبُوا لِمَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، فَكَانَتْ نَتِيجَةُ بَحْثِهِمْ هِيَ الْإِيمَانُ.
- **سَارَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: أَهَمِّيَّةُ الْإِنْصَاتِ وَالتَّدَبُّرِ: لَوْ لَمْ يُنْصِتِ الْجِنُّ لِلْقُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ، لَمَا آمَنُوا. وَهَذَا يُعَلِّمُنَا أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَمِعَ لِكَلَامِ اللهِ بِقُلُوبٍ حَاضِرَةٍ.
- **خَدِيجَةُ: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ: بَعْدَ أَنْ آمَنَ الْجِنُّ، عَادُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ لِيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ دَعْوَةِ الْآخَرِينَ إِلَىٰ الْخَيْرِ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ: قِصَّةُ الْجِنِّ تُؤَكِّدُ وُجُودَ عَالَمٍ غَيْبِيٍّ، وَتُعَلِّمُنَا أَنَّ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ بِمَا أَخْبَرَنَا اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، حَتَّىٰ وَإِنْ لَمْ نَرَهُ بِأَعْيُنِنَا.

***

قِصَّةُ الْمُجَادَلَةِ: رَحْمَةُ اللَّهِ بِخَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ

أَهْلاً بِكُمْ أَوْلَادِي، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ مُؤَثِّرَةٍ جِدّاً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تُبَيِّنُ لَنَا رَحْمَةَ اللهِ الْوَاسِعَةَ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَسْتَمِعُ لِشَكْوَىٰ الْمَظْلُومِينَ، وَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ لِإِصْلَاحِ أَحْوَالِ عِبَادِهِ. نَعِيشُ مَعَكُمُ الْيَوْمَ مَعَ قِصَّةٍ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ (أَوِ الْمُجَادَلَةِ)، وَتُعْرَفُ بِقِصَّةِ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

دَعُونِي الْيَوْمَ أَحْكِي لَكُمْ قِصَّةَ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ، ذَهَبَتْ تَشْكُو حَالَهَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَأَنْزَلَ فِيهَا قُرْآنًا يُتْلَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِيُثْبِتَ رَحْمَةَ اللهِ وَعَدْلَهُ.

أُسَامَةُ: مَنْ هِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ؟

الْأَبُ: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ يَا أُسَامَةُ كَانَتِ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً، مِنْ صَحَابِيَّاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَقَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ خِلَافٌ. وَفِي لَحْظَةِ غَضَبٍ، قَالَ لَهَا زَوْجُهَا كَلِمَةً كَانَتْ تُعْتَبَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمَثَابَةِ الطَّلَاقِ، وَتَجْعَلُ الْمَرْأَةَ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِ حُرْمَةَ الْأُمِّ، وَهِيَ كَلِمَةُ "الظِّهَارِ". فَقَالَ لَهَا: "أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي". تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنَّ امْرَأَةً تَجِدُ نَفْسَهَا فَجْأَةً فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ جِدّاً، فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُحَرَّمَةً عَلَىٰ زَوْجِهَا الَّذِي تُحِبُّهُ، وَلَهَا مِنْهُ أَبْنَاءٌ صِغَارٌ!

سَارَةُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَمَاذَا فَعَلَتْ خَوْلَةُ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ حَزِنَتْ خَوْلَةُ حُزْنًا شَدِيداً يَا سَارَةُ، وَتَأَلَّمَتْ أَلَمًا عَظِيمًا، لَيْسَ لِأَجْلِهَا فَقَطْ، بَلْ لِأَجْلِ أَبْنَائِهَا الصِّغَارِ الَّذِينَ سَتُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْحَيَاةَ الْمُسْتَقِرَّةَ مَعَ أَبِيهِمْ. فَذَهَبَتْ

مُسْرِعَةً إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَشْكُوَ إِلَيْهِ حَالَهَا، وَتَطْلُبَ مِنْهُ حَلّاً. لَقَدْ كَانَتْ تُجَادِلُهُ وَتُرَاجِعُهُ فِي الْأَمْرِ، تَشْرَحُ لَهُ مُعَانَاتِهَا وَأَلَمَهَا، وَتُخْبِرُهُ عَنْ كِبَرِ سِنِّهَا وَضَعْفِهَا، وَأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ بِلَا زَوْجٍ وَلَا مُعِيلٍ لِأَبْنَائِهَا.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ وَجَدَ لَهَا رَسُولُ اللهِ حَلّاً يَا أَبِي؟

الْأَبُ: فِي الْبِدَايَةِ يَا خَدِيجَةُ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ. فَكَانَ يَقُولُ لَهَا: "مَا أَرَاكِ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ". لَكِنَّ خَوْلَةَ لَمْ تَيْأَسْ، بَلْ ظَلَّتْ تُكَرِّرُ شَكْوَاهَا، وَتَرْفَعُ يَدَيْهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَتَدْعُو اللهَ أَنْ يُفَرِّجَ كُرْبَتَهَا. يَا لَهَا مِنْ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ، لَمْ تَفْقِدِ الْأَمَلَ فِي رَحْمَةِ اللهِ، بَلْ لَجَأَتْ إِلَيْهِ بِكُلِّ إِخْلَاصٍ!

أُسَامَةُ: وَهَلِ اسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَائِهَا وَشَكْوَاهَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ! وَهَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْمُذْهِلُ مِنَ الْقِصَّةِ. بَيْنَمَا كَانَتْ خَوْلَةُ تُجَادِلُ وَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا مَا قَالَ، نَزَلَ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُبَيِّنُ حُكْمَ الظِّهَارِ، وَتُعْطِي حَلّاً لِمُعَانَاةِ خَوْلَةَ وَغَيْرِهَا مِمَّنْ قَدْ يَقَعُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ.

سَارَةُ: وَمَاذَا قَالَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي بِدَايَةِ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة: ١]. لَقَدْ أَكَّدَ اللهُ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ شَكْوَاهَا، ثُمَّ بَيَّنَ حُكْمَ الظِّهَارِ بِأَنَّهُ لَا يُحَرِّمُ الزَّوْجَةَ حُرْمَةَ الْأُمِّ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَوْجِبُ كَفَّارَةً. وَالْكَفَّارَةُ هِيَ: إِمَّا عِتْقُ رَقَبَةٍ (تَحْرِيرُ عَبْدٍ)، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا. يَا لَهَا مِنْ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ اللهِ!

فَقَدْ حَلَّ مُشْكِلَةً كَانَتْ تُعْتَبَرُ مُعْضِلَةً فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَعَادَ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ لِخَوْلَةَ وَزَوْجِهَا بِشَرْطِ الْكَفَّارَةِ.

خَدِيجَةُ: سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ سَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا سَرِيعاً!

الأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلاً عَظِيماً عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَرِيبٌ يَسْمَعُ دُعَاءَ عِبَادِهِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَتْ امْرَأَةً ضَعِيفَةً تَشْكُو حَالَهَا لِرَسُولِ اللهِ. لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ لِتُصْبِحَ تَشْرِيعاً خَالِداً فِي الْإِسْلَامِ، رَحْمَةً بِالْعِبَادِ، وَتَخْفِيفاً عَلَيْهِمْ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: اللهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ دُعَاءَ عِبَادِهِ وَشَكْوَاهُمْ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَتْ خَفِيَّةً، فَلَا تَيْأَسُوا مِنَ الدُّعَاءِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: رَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ جِدّاً، وَهُوَ يُخَفِّفُ عَنْ عِبَادِهِ وَيُشَرِّعُ لَهُمْ مَا يُصْلِحُ حَيَاتَهُمْ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِخِلَافَاتٍ زَوْجِيَّةٍ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ نُورٌ وَهُدَىً لِكُلِّ مُشْكِلَةٍ، فِيهِ الْحُلُولُ لِكُلِّ مَا يُوَاجِهُ الْإِنْسَانَ فِي حَيَاتِهِ، وَيَجِبُ أَنْ نَعُودَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِنَا.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْمَرْأَةُ فِي الْإِسْلَامِ لَهَا كَرَامَةٌ وَحُقُوقٌ عَظِيمَةٌ، وَاللهُ يُكْرِمُهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا، وَيَسْتَمِعُ لِشَكْوَاهَا.

- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ وَاللُّجُوءُ إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ يُورِثَانِ الْفَرَجَ وَالنَّجَاةَ، فَاللهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

❊❊❊

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْمَزْرَعَةِ الْجَمِيلَةِ: وَعَاقِبَةُ الْبُخْلِ وَمَنْعِ حَقِّ الْفَقِيرِ

أَهْلاً بِكُمْ يَا أَبْنَائِي الْأَعَزَّاءَ فِي رِحْلَةٍ جَدِيدَةٍ وَمُمْتِعَةٍ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمْنَا دُرُوسًا عَظِيمَةً مِنَ الْقِصَصِ السَّابِقَةِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ مُؤَثِّرَةٍ جِدّاً مِنْ سُورَةِ الْقَلَمِ، قِصَّةٍ تُعَلِّمُنَا عَنْ خَطَرِ الْبُخْلِ، وَمَنْعِ حَقِّ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، وَكَيْفَ أَنَّ النِّعَمَ قَدْ تُسْلَبُ إِذَا لَمْ نَشْكُرِ اللهَ عَلَيْهَا وَنُؤَدِّ حَقَّهَا. إِنَّهَا قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.

تَأَمَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، كَانَ لَدَيْهِ بُسْتَانٌ عَظِيمٌ وَمَلِيءٌ بِالْخَيْرَاتِ، فِيهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَالْخُضْرَوَاتِ، وَلَقَدْ كَانَ كَرِيمًا جِدّاً. كَانَ هَذَا الرَّجُلُ إِذَا حَانَ وَقْتُ حَصَادِ الثِّمَارِ، يَأْخُذُ نَصِيبًا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُعْطِيهِمْ مِنْ خَيْرِ بُسْتَانِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْمَعَ لِنَفْسِهِ. وَهَكَذَا، كَانَتْ نِعْمَتُهُ تَزْدَادُ وَيُبَارِكُ اللهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ.

أُسَامَةُ: يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ طَيِّبٍ وَكَرِيمٍ يَا أَبِي!

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ، لَقَدْ كَانَ رَجُلاً صَالِحًا. لَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَاتَ، وَوَرِثَ أَبْنَاؤُهُ هَذَا الْبُسْتَانَ الْعَظِيمَ. وَهَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءُ، لَمْ يَكُونُوا عَلَىٰ نَفْسِ صَلَاحِ أَبِيهِمْ. لَقَدْ تَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَقَالُوا: "أَبُونَا كَانَ يُعْطِي الْفُقَرَاءَ، وَلَكِنَّنَا نَحْتَاجُ هَذَا الْمَالَ لِأَنْفُسِنَا! هَيَّا نَذْهَبُ وَنَحْصُدُ الثِّمَارَ مُبَكِّراً قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَلَا يَأْتِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَيَسْأَلَنَا شَيْئًا!" لَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يَحْرِمُوا الْمَسَاكِينَ مِنْ حَقِّهِمْ، وَيَمْنَعُوا عَنْهُمُ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَ أَبُوهُمْ يُعْطِيهَا.

سَارَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا بَعْدَ كَرَمِ أَبِيهِمْ؟

الْأَبُ: هَذَا يَا سَارَةُ هُوَ خَطَرُ الْبُخْلِ وَالطَّمَعِ. لَقَدْ نَسُوا فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَنَّ رِزْقَهُمْ هَذَا بِفَضْلِ اللهِ ثُمَّ بِبَرَكَةِ صَدَقَةِ أَبِيهِمْ وَصَلَاحِهِ. وَفِي اللَّيْلِ، قَرَّرُوا تَنْفِيذَ خُطَّتِهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة القلم:٢١-٢٢]. أَيْ نَادَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ جِدًّا، لِيَذْهَبُوا إِلَىٰ بُسْتَانِهِمْ وَيَحْصُدُوا الثِّمَارَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ أَحَدٌ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ ذَهَبُوا إِلَىٰ الْبُسْتَانِ فِعْلاً؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدِ انْطَلَقُوا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، وَهُمْ يَتَسَارَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَتَهَامَسُونَ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ لِلآخَرِ: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القلم:٢٤]. أَيْ لَا تَتْرُكُوا أَيَّ مِسْكِينٍ يَدْخُلِ الْبُسْتَانَ الْيَوْمَ لِيَأْخُذَ مِنَ الثِّمَارِ. لَقَدْ كَانُوا حَرِيصِينَ جِدًّا عَلَىٰ مَنْعِ الْخَيْرِ عَنِ الْفُقَرَاءِ.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَىٰ الْبُسْتَانِ؟

الأَبُ: وَهُنَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ، الَّذِي لَا يَغْفَلُ عَنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ. بَيْنَمَا هُمْ فِي طَرِيقِهِمْ، وَهُمْ يُضْمِرُونَ هَذَا الشَّرَّ فِي قُلُوبِهِمْ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَىٰ بُسْتَانِهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، وَهُمْ نَائِمُونَ لَا يَشْعُرُونَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القلم:١٩-٢٠]. "الطَّائِفُ" هُوَ بَلَاءٌ أَوْ آفَةٌ سَمَاوِيَّةٌ، فَاجَأَتْهُمْ وَهُمْ نَائِمُونَ.

تَخَيَّلُوا يَا صِغَارِي! لَقَدْ تَحَوَّلَ الْبُسْتَانُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، إِلَىٰ كَالصَّرِيمِ، أَيْ كَالْأَرْضِ الْمُحْتَرِقَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا. لَقَدْ أَصْبَحَتِ الثِّمَارُ كُلُّهَا رَمَاداً، وَالْأَشْجَارُ يَابِسَةٌ كَأَنَّهَا مَحْصُودَةٌ تَمَامًا!

سَارَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ عَرَفُوا مَا حَدَثَ عِنْدَمَا وَصَلُوا؟

الْأَبُ: عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَىٰ الْبُسْتَانِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، تَفَاجَأُوا وَصُدِمُوا بِالْمَنْظَرِ. لَقَدْ رَأَوْا بُسْتَانَهُمُ الَّذِي كَانُوا يَمُنُّونَ النَّفْسَ بِخَيْرَاتِهِ وَقَدْ أَصْبَحَ خَرَابًا كَامِلاً. فِي الْبِدَايَةِ، لَمْ يُصَدِّقُوا أَعْيُنَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة القلم:٢٦]، أَيْ لَقَدْ أَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ، هَذَا لَيْسَ بُسْتَانَنَا! وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَظَرُوا حَوْلَهُمْ، أَدْرَكُوا الْمُصِيبَةَ، فَقَالُوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة القلم:٢٧]، أَيْ لَقَدْ حُرِمْنَا مِنْ ثِمَارِ بُسْتَانِنَا بِسَبَبِ مَا فَعَلْنَاهُ.

خَدِيجَةُ: وَهَلْ نَدِمُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، وَهُنَا تَظْهَرُ النَّدَمُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ. لَقَدْ بَدَأُوا يَلُومُونَ بَعْضَهُمْ الْبَعْضَ. قَالَ أَوْسَطُهُمْ، أَيْ أَمْثَلُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ طَرِيقَةً وَأَكْثَرُهُمْ عَقْلاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة القلم:٢٨]. أَيْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لِمَاذَا لَا تَذْكُرُونَ اللهَ وَتُسَبِّحُونَهُ وَتَشْكُرُونَهُ وَتُؤَدُّونَ حَقَّهُ؟ لَقَدْ كَانَ هَذَا الْأَخُ قَدْ نَصَحَهُمْ قَبْلاً، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ.

حِينَئِذٍ، أَدْرَكُوا خَطَأَهُمْ وَنَدِمُوا نَدَمًا شَدِيداً، فَقَالُوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة القلم:٢٩]. وَاعْتَرَفُوا بِظُلْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْفُقَرَاءِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ اللهِ بِالتَّسْبِيحِ وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ. وَأَصْبَحُوا يَتَلَاوَمُونَ وَيُوَبِّخُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ مَا فَعَلُوهُ.

الْأَبُ: ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة القلم:٣٣]. هَذِهِ الْقِصَّةُ هِيَ عِبْرَةٌ وَعَذَابٌ لِمَنْ يَظْلِمُ وَيَمْنَعُ حَقَّ الْفَقِيرِ فِي الدُّنْيَا. وَلَكِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ لِمَنْ يُصِرُّ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ بِكَثِيرٍ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ!

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الشُّكْرُ وَحِفْظُ النِّعَمِ: النِّعَمُ تَدُومُ بِالشُّكْرِ وَأَدَاءِ حَقِّ اللهِ فِيهَا. إِذَا مَنَعْنَا حَقَّ الْفَقِيرِ أَوْ تَكَبَّرْنَا، فَإِنَّ النِّعْمَةَ قَدْ تَزُولُ.
- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: خَطَرُ الْبُخْلِ وَالطَّمَعِ: الْبُخْلُ وَالطَّمَعُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَىٰ الْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَحْرِمُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَرَكَةِ اللهِ فِي رِزْقِهِ.
- **سَارَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: حُقُوقُ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ: لِلْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ حَقٌّ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، وَهَذَا الْحَقُّ يَجِبُ أَنْ يُؤَدَّىٰ طَوَاعِيَةً وَشُكْراً لِلَّهِ.
- **خَدِيجَةُ: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: التَّوْبَةُ وَالنَّدَمُ: النَّدَمُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّوْبَةُ إِلَىٰ اللهِ أَمْرٌ مُهِمٌّ، وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ فَوَاتِ بَعْضِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ قَدْ يُنْجِي مِن عَذَابِ الْآخِرَةِ.
- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: عِبْرَةُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ: مَا يُصِيبُنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَصَائِبَ بِسَبَبِ ذُنُوبِنَا هُوَ عَذَابٌ خَفِيفٌ مُقَارَنَةً بِعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَهَذَا يَدْعُونَا إِلَىٰ التَّفَكُّرِ وَالتَّعَقُّلِ.

- **الْأَبُ: الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ:** لَا حِيلَةَ مَعَ أَمْرِ اللهِ: مَهْمَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ التَّخْطِيطَ وَالتَّآمُرَ لِمَنْعِ الْخَيْرِ أَوْ تَحْقِيقِ مَآرِبِهِ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّ أَمْرَ اللهِ غَالِبٌ، وَمَشِيئَتَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

***

قِصَّةُ الْغُلَامِ وَالسَّاحِرِ وَالْمَلِكِ الظَّالِمِ (أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)

أَهْلاً بِكُمْ أَبْنَائِي فِي رِحْلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَعَ قِصَّةِ سُورَةِ الْبُرُوجِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [سورة البروج: ٤-١٠].

هَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُنَا دُرُوسًا عَظِيمَةً! قِصَّةٌ مِنْ أَعْظَمِ قِصَصِ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَكَيْفَ يَنْتَصِرُ الْحَقُّ وَإِنْ بَدَا الْبَاطِلُ قَوِيًّا. إِنَّهَا قِصَّةُ الْغُلَامِ وَالْمَلِكِ الظَّالِمِ، كَمَا رَوَاهَا لَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تَأَمَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، كَانَ هُنَاكَ مَلِكٌ جَبَّارٌ طَاغِيَةٌ يَحْكُمُ قَوْمًا. هَذَا الْمَلِكُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ سَاحِرٍ كَبِيرٍ فِي مَمْلَكَتِهِ. وَمَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ، كَبِرَ السَّاحِرُ فِي السِّنِّ، وَشَعَرَ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ.

أُسَامَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ السَّاحِرُ عِنْدَمَا كَبِرَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ ذَهَبَ السَّاحِرُ إِلَىٰ الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: "يَا مَوْلَايَ، لَقَدْ كَبِرْتُ فِي السِّنِّ، وَلَمْ يَتَبَقَّ لِي الْكَثِيرُ. فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا صَغِيراً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ لِيَحِلَّ مَحَلِّي بَعْدَ مَوْتِي." فَوَافَقَ الْمَلِكُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ غُلَامًا ذَكِيًّا لِيَتَعَلَّمَ السِّحْرَ.

كَانَ هَذَا الْغُلَامُ، يَا أَبْنَائِي، فِي طَرِيقِهِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَيْتِهِ إِلَىٰ السَّاحِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ. وَفِي طَرِيقِهِ، كَانَ هُنَاكَ رَاهِبٌ صَالِحٌ يَعْبُدُ اللهَ وَيُعَلِّمُ النَّاسَ الْحَقَّ.

وَكَانَ الْغُلَامُ عِنْدَمَا يَمُرُّ بِالرَّاهِبِ، يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيَسْتَمِعُ إِلَىٰ كَلَامِهِ الطَّيِّبِ، وَيَتَأَثَّرُ بِهِ كَثِيراً. لَقَدْ أَعْجَبَهُ كَلَامُ الرَّاهِبِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ. فَصَارَ الْغُلَامُ يَقْضِي بَعْضَ الْوَقْتِ عِنْدَ الرَّاهِبِ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَىٰ السَّاحِرِ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا كَانَ يَفْعَلُ إِذَا تَأَخَّرَ؟

الْأَبُ: كَانَتِ الْمُشْكِلَةُ يَا خَدِيجَةُ، أَنَّ الْغُلَامَ كَانَ يَتَأَخَّرُ أَحْيَانًا بِسَبَبِ جُلُوسِهِ مَعَ الرَّاهِبِ. فَإِذَا ذَهَبَ إِلَىٰ السَّاحِرِ مُتَأَخِّراً، ضَرَبَهُ السَّاحِرُ. وَإِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُتَأَخِّراً بِسَبَبِ السَّاحِرِ، ضَرَبَهُ أَهْلُهُ. فَشَكَا الْغُلَامُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ. فَنَصَحَهُ الرَّاهِبُ بِذَكَاءٍ: "إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ." وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، أَصْبَحَ الْغُلَامُ يَتَعَلَّمُ مِنَ الرَّاهِبِ الْحِكْمَةَ وَالْإِيمَانَ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، بَيْنَمَا الْغُلَامُ فِي طَرِيقِهِ، وَجَدَ دَابَّةً عَظِيمَةً (حَيَوَانًا ضَخْمًا) قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ وَمَنَعَتْهُمْ مِنَ الْمُرُورِ. وَهُنَا، جَاءَتْ لَحْظَةُ الْحَقِيقَةِ لِلْغُلَامِ. قَالَ فِي نَفْسِهِ: "الْآنَ أَعْلَمُ! هَلِ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟"

أُسَامَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ لِيَخْتَبِرَ ذَلِكَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ أَخَذَ الْغُلَامُ حَجَراً صَغِيراً، وَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَدَعَا رَبَّهُ دُعَاءً يَدُلُّ عَلَىٰ يَقِينِهِ وَإِيمَانِهِ. قَالَ: "اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ!" ثُمَّ رَمَىٰ الدَّابَّةَ بِالْحَجَرِ، فَقَتَلَهَا بِإِذْنِ اللهِ، وَمَضَىٰ النَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ.

عَادَ الْغُلَامُ مُسْرِعًا إِلَىٰ الرَّاهِبِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ. حِينَئِذٍ، أَدْرَكَ الرَّاهِبُ عِظَمَ مَكَانَةِ هَذَا الْغُلَامِ عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: "أَيْ بُنَيَّ! أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي. لَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ.

وَلَكِنِ اعْلَمْ أَنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ." أَيْ سَيَنْزِلُ بِكَ بَلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ بِسَبَبِ إِيمَانِكَ الْقَوِيِّ، فَلَا تُخْبِرْ أَحَداً عَنِّي.

سَارَةُ: وَهَلْ صَارَ الْغُلَامُ يَفْعَلُ الْمُعْجِزَاتِ؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ هَذَا الْغُلَامَ، فَصَارَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ (الَّذِي وُلِدَ أَعْمَىٰ) وَالْأَبْرَصَ (صَاحِبَ مَرَضِ الْبَرَصِ)، وَيُعَالِجُ النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللهِ. لَقَدْ كَانَ إِيمَانُ هَذَا الْغُلَامِ هُوَ سَبَبُ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ.

وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ (مُسْتَشَارٌ) قَدْ فَقَدَ بَصَرَهُ. فَسَمِعَ هَذَا الْجَلِيسُ عَنِ الْغُلَامِ الَّذِي يَشْفِي الْأَمْرَاضَ. فَأَتَىٰ إِلَيْهِ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ جِدّاً، وَقَالَ لَهُ: "كُلُّ هَذِهِ الْهَدَايَا لَكَ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي!"

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا كَانَ رَدُّ الْغُلَامِ؟

الْأَبُ: رَدَّ الْغُلَامُ عَلَيْهِ بِكَلِمَةِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ: "إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ! فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ، دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ!" فَآمَنَ ذَلِكَ الْجَلِيسُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَعَا لَهُ الْغُلَامُ، فَشَفَاهُ اللهُ وَرَدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ.

ذَهَبَ الْجَلِيسُ إِلَىٰ الْمَلِكِ كَعَادَتِهِ وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ وَهُوَ يَرَىٰ. تَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْهُ وَقَالَ: "مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟" فَرَدَّ الْجَلِيسُ بِبَسَالَةٍ: "رَبِّي." فَصُعِقَ الْمَلِكُ وَقَالَ: "وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!" فَأَجَابَ الْجَلِيسُ: "رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ!"

أُسَامَةُ: وَمَاذَا فَعَلَ الْمَلِكُ بِهِ؟

الْأَبُ: غَضِبَ الْمَلِكُ غَضَباً شَدِيداً، وَأَخَذَ يُعَذِّبُ جَلِيسَهُ تَعْذِيباً شَدِيداً، حَتَّىٰ دَلَّ الْجَلِيسُ عَلَىٰ الْغُلَامِ. فَجِيءَ بِالْغُلَامِ إِلَىٰ الْمَلِكِ، وَسَأَلَهُ الْمَلِكُ: "أَيْ بُنَيَّ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ

سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ!" فَرَدَّ الْغُلَامُ بِنَفْسِ الْيَقِينِ: "إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ!"

أَخَذَهُ الْمَلِكُ وَعَذَّبَهُ عَذَاباً شَدِيداً، حَتَّىٰ دَلَّ الْغُلَامُ عَلَىٰ الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ إِلَىٰ الْمَلِكِ، وَقِيلَ لَهُ: "ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ!" فَرَفَضَ الرَّاهِبُ وَأَبَىٰ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِمِنْشَارٍ، وَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي وَسَطِ رَأْسِ الرَّاهِبِ، فَشَقَّهُ نِصْفَيْنِ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَىٰ دِينِهِ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ (الَّذِي شُفِيَ)، وَقِيلَ لَهُ: "ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ!" فَرَفَضَ وَأَبَىٰ، فَفَعَلَ بِهِ الْمَلِكُ مَا فَعَلَهُ بِالرَّاهِبِ، فَشَقَّهُ بِالْمِنْشَارِ نِصْفَيْنِ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَىٰ الْحَقِّ.

ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ الْغُلَامِ. قِيلَ لَهُ: "ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ!" فَرَفَضَ الْغُلَامُ، وَثَبَتَ عَلَىٰ إِيمَانِهِ. فَدَفَعَهُ الْمَلِكُ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنْ جُنُودِهِ وَقَالَ لَهُمْ: "اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ قِمَّتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ مِنْ هُنَاكَ!"

سَارَةُ: وَهَلْ أَلْقَوْهُ مِنَ الْجَبَلِ؟

الْأَبُ: ذَهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الْجَبَلِ، وَلَكِنَّ الْغُلَامَ دَعَا اللهَ بِيَقِينٍ: "اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ!" فَاهْتَزَّ الْجَبَلُ بِهِمْ، وَسَقَطَ الْجُنُودُ كُلُّهُمْ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ سَالِماً. فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ: "مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟" فَقَالَ الْغُلَامُ: "كَفَانِيهِمُ اللهُ!"

فَغَضِبَ الْمَلِكُ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَدَفَعَ الْغُلَامَ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ جُنُودِهِ وَقَالَ: "اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي سَفِينَةٍ، وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فِي الْبَحْرِ!"

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ فِي الْبَحْرِ؟

الْأَبُ: ذَهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الْبَحْرِ، وَلَكِنَّ الْغُلَامَ دَعَا اللهَ مَرَّةً أُخْرَىٰ بِيَقِينٍ: "اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ!" فَانْقَلَبَتِ السَّفِينَةُ بِهِمْ وَغَرِقُوا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ سَالِمًا. فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ: "مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟" فَقَالَ الْغُلَامُ: "كَفَانِيهِمُ اللهُ!"

حِينَئِذٍ، أَدْرَكَ الْغُلَامُ أَنَّ الْمَلِكَ لَنْ يَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَقُوَّةَ اللهِ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: "إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ!"

أُسَامَةُ: وَمَاذَا أَمَرَهُ؟

الْأَبُ: قَالَ الْغُلَامُ: "تَجْمَعُ النَّاسَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَاسِعٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعِ شَجَرَةٍ، ثُمَّ تَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِي، وَتَضَعُ السَّهْمَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَوْسِ، ثُمَّ تَقُولُ: بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ تَرْمِينِي. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي!"

الْأَبُ: فَفَعَلَ الْمَلِكُ مَا قَالَهُ الْغُلَامُ. جَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَ الْغُلَامَ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ جَعْبَةِ الْغُلَامِ، وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ"، وَرَمَاهُ. فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْغُلَامِ (جَانِبِ رَأْسِهِ)، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَىٰ مَكَانِ السَّهْمِ وَمَاتَ شَهِيداً.

وَهُنَا كَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ الْكُبْرَىٰ. عِنْدَمَا رَأَىٰ النَّاسُ هَذَا الْمَشْهَدَ، وَسَمِعُوا الْمَلِكَ يَقُولُ: "بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ"، صَاحَ النَّاسُ جَمِيعًا بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِمْ: "آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ!"

سَارَةُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ آمَنُوا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا سَارَةُ، لَقَدْ كَانَ هَذَا الْحَدَثُ هُوَ سَبَبَ إِيمَانِ الْقَوْمِ. فَجَاءَ أَحَدُ حَاشِيَةِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: "أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ!"

فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ بِحَفْرِ الْأَخَادِيدِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ (الشَّوَارِعِ)، وَأَضْرَمَ فِيهَا النِّيرَانَ. وَقَالَ: "مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا (أَلْقُوهُ فِيهَا)!" فَفَعَلُوا، حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا طِفْلٌ رَضِيعٌ، فَتَرَاجَعَتْ عَنِ الدُّخُولِ خَوْفًا عَلَىٰ طِفْلِهَا، فَنَطَقَ الطِّفْلُ بِإِذْنِ اللهِ وَقَالَ لَهَا: "يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ!" فَانْدَفَعَتِ الْمَرْأَةُ بِطِفْلِهَا إِلَىٰ النَّارِ ثَابِتَةً عَلَىٰ إِيمَانِهَا. وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي، بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْهَا؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: ثَبَاتُ الْإِيمَانِ وَقُوَّةُ الْيَقِينِ: تُعَلِّمُنَا هَذِهِ الْقِصَّةُ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ بِاللهِ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ ثَابِتًا أَمَامَ كُلِّ التَّحَدِّيَاتِ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ بِيَقِينٍ يَفْعَلُ الْمُعْجِزَاتِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.
- **أُسَامَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: التَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ: الْغُلَامُ وَالرَّاهِبُ وَالْجَلِيسُ ضَحَّوْا بِحَيَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ إِيمَانِهِمْ، وَهَذَا يُظْهِرُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ أَغْلَىٰ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

- سَارَةُ: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: عَاقِبَةُ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ: الْمَلِكُ الظَّالِمُ حَاوَلَ قَمْعَ الْإِيمَانِ بِالْقُوَّةِ، لَكِنَّهُ انْتَهَىٰ بِهِ الْمَطَافُ إِلَىٰ هَزِيمَةٍ سَاحِقَةٍ وَإِيمَانِ النَّاسِ جَمِيعًا بِمَا كَانَ يَكْرَهُ.
- خَدِيجَةُ: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ وَقُدْرَةُ اللهِ: لَقَدْ أَجْرَىٰ اللهُ الْمُعْجِزَاتِ عَلَىٰ يَدِ الْغُلَامِ لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ قُدْرَتَهُ وَقُوَّتَهُ.
- الْأَبُ: **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ**: الْحِكْمَةُ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ: الرَّاهِبُ نَصَحَ الْغُلَامَ بِحِكْمَةٍ، وَالْغُلَامُ بِدَوْرِهِ دَعَا الْمَلِكَ إِلَىٰ فِعْلِ مَا أَدَّىٰ لِإِيمَانِ النَّاسِ كُلِّهِمْ.
- أُسَامَةُ: **الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ**: لَا نَصْرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ: مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّ نَصْرَ اللهِ لِلْمُؤْمِنِينَ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ يَكُونُ بِطُرُقٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ.

***

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ: عَظَمَةُ اللَّهِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ بَيْتِهِ الْحَرَامِ

أَهْلاً بِكُمْ يَا أَحِبَّائِي الْكِرَامَ وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! يَسْعَدُنِي حَمَاسُكُمْ الدَّائِمُ لِسَمَاعِ الْمَزِيدِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَمْلَأُ الْقُلُوبَ بِالْإِيمَانِ وَالْعِبَرِ.

أَبْنَائِي نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ أُخْرَىٰ عَظِيمَةٍ، هَذِهِ الْقِصَّةُ هِيَ مِنْ سُورَةِ الْفِيلِ. إِنَّهَا قِصَّةُ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ الظَّالِمِ الْمُجْرِمِ. سَنَحْكِي قِصَّةً تُظْهِرُ لَنَا عَظَمَةَ اللهِ وَقُوَّتَهُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يُهْلِكُ مَنْ يُحَاوِلُ التَّعَدِّيَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا جُيُوشاً عَظِيمَةً. قِصَّةُ قَوْمٍ جَاءُوا لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ، فَكَانَتْ نِهَايَتُهُمْ عَجِيبَةً وَمُدَمِّرَةً. هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِي حَدَثَتْ قَبْلَ مَوْلِدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أُسَامَةُ: مَنْ هُوَ أَبْرَهَةُ؟ وَهَلْ كَانَ مَعَهُ فِيلَةٌ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: أَبْرَهَةُ يَا أُسَامَةُ هُوَ رَجُلٌ مُجْرِمٌ ظَالِمٌ مِنَ الْحَبَشَةِ، كَانَ يَحْكُمُ الْيَمَنَ. لَقَدْ رَأَىٰ أَنَّ النَّاسَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ يَحُجُّونَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وَيُعَظِّمُونَهَا. فَدَبَّ الْحَسَدُ فِي قَلْبِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ الْكَعْبَةِ، وَيَبْنِيَ كَنِيسَةً عَظِيمَةً فِي الْيَمَنِ، لِيَحُجَّ النَّاسُ إِلَيْهَا بَدَلاً مِنَ الْكَعْبَةِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، رَجُلاً يَتَفَاخَرُ بِقُوَّتِهِ، وَيَحْسُدُ النَّاسَ عَلَىٰ بَيْتٍ مُقَدَّسٍ يُعَظِّمُونَهُ، فَيُقَرِّرُ أَنْ يَهْدِمَهُ لِيَصْرِفَ النَّاسَ عَنْهُ!

سَارَةُ: يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ فَظِيعٍ! وَمَاذَا فَعَلَ أَبْرَهَةُ لِيُحَقِّقَ هَذَا الْهَدَفَ؟

الْأَبُ: لَقَدْ جَهَّزَ أَبْرَهَةُ جَيْشاً عَظِيماً يَا سَارَةُ، لَمْ يَرَ الْعَرَبُ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ. كَانَ جَيْشاً جَرَّاراً، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ فِيلَةٌ ضَخْمَةٌ، كَانَ أَشْهَرُهَا فِيلٌ عَظِيمٌ. لَقَدْ جَاءَ أَبْرَهَةُ بِجَيْشِهِ وَفِيَلَتِهِ

الضَّخْمَةِ قَاصِداً هَدْمَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ. تَخَيَّلُوا مَنْظَرَ هَذِهِ الْفِيلَةِ الضَّخْمَةِ، وَهِيَ تَسِيرُ فِي الصَّحْرَاءِ، وَمَعَهَا جَيْشٌ كَبِيرٌ، كُلُّهَا قَادِمَةٌ لِتَهْدِيمِ بَيْتِ اللهِ!

خَدِيجَةُ: وَهَلْ حَاوَلَ أَهْلُ مَكَّةَ الدِّفَاعَ عَنِ الْكَعْبَةِ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: عِنْدَمَا اقْتَرَبَ أَبْرَهَةُ وَجَيْشُهُ مِنْ مَكَّةَ، خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، جَدُّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ سَيِّدَ مَكَّةَ حِينَئِذٍ. لَمْ يَمْلِكْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَجَمَاعَةُ قُرَيْشٍ الْقُوَّةَ الْكَافِيَةَ لِمُوَاجَهَةِ جَيْشِ أَبْرَهَةَ الْكَبِيرِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: "أَمَّا الْإِبِلُ فَلِي، وَأَمَّا الْبَيْتُ فَلَهُ رَبٌّ يَحْمِيهِ". أَيْ أَنَّنِي سَآخُذُ إِبِلِي الَّتِي أَخَذَتْهَا جُنُودُكَ، أَمَّا الْكَعْبَةُ فَلَهَا رَبٌّ يَحْمِيهَا. يَا لَهَا مِنْ ثِقَةٍ عَظِيمَةٍ فِي اللهِ، عِنْدَمَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْقُوَّةَ، فَيُسَلِّمُ الْأَمْرَ لِخَالِقِهِ!

أُسَامَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ عِنْدَمَا أَرَادُوا هَدْمَ الْكَعْبَةِ؟

الْأَبُ: فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الَّذِي أَرَادَ فِيهِ أَبْرَهَةُ وَجَيْشُهُ هَدْمَ الْكَعْبَةِ، أَمَرَ الْفِيلَ بِالتَّوَجُّهِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ. وَلَكِنَّ الْفِيلَ الضَّخْمَ رَفَضَ أَنْ يَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ! كُلَّمَا وَجَّهُوهُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، بَرَكَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى، قَامَ وَسَارَ! يَا لَهَا مِنْ مُعْجِزَةٍ! حَتَّى الْحَيَوَانُ رَفَضَ أَنْ يُشَارِكَ فِي هَذَا الْإِثْمِ الْعَظِيمِ!

وَهُنَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ الْعَظِيمُ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفِيلِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل:١-٥].

سَارَةُ: وَمَا مَعْنَى "طَيْرًا أَبَابِيلَ" وَ"حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ" يَا أَبِي؟

الأَبُ: "طَيْرًا أَبَابِيلَ" يَا سَارَةُ مَعْنَاهَا طُيُورٌ جَاءَتْ جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ، بِأَعْدَادٍ هَائِلَةٍ جِدّاً. وَ"حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ" أَيْ حِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُتَحَجِّرٍ، قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ كَالْحَصَىٰ الصَّغِيرِ. تَخَيَّلُوا يَا أَحْبَابِي، أَنَّ السَّمَاءَ امْتَلَأَتْ بِالطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ، كُلُّ طَيْرٍ يَحْمِلُ حَجَراً صَغِيراً فِي مِنْقَارِهِ وَرِجْلَيْهِ، وَيُسْقِطُ هَذِهِ الْحِجَارَةَ عَلَىٰ جُنُودِ أَبْرَهَةَ!

خَدِيجَةُ: وَهَلْ أَهْلَكَتْهُمْ هَذِهِ الْحِجَارَةُ الصَّغِيرَةُ؟

الأَبُ: نَعَمْ يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْحِجَارَةُ الصَّغِيرَةُ بِقُدْرَةِ اللهِ، قَاتِلَةً وَمُدَمِّرَةً. مَا إِنْ تَسْقُطُ الْحَجَرَةُ عَلَىٰ رَأْسِ أَحَدِهِمْ، حَتَّىٰ تَخْتَرِقَ جَسَدَهُ وَتُخْرِجَ أَحْشَاءَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ، أَوْ تُصِيبَهُمْ بِمَرَضٍ فَتَّاكٍ يُذِيبُ أَجْسَادَهُمْ. لَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ جَيْشَ أَبْرَهَةَ كُلَّهُ بِهَذِهِ الطُّيُورِ وَالْحِجَارَةِ الصَّغِيرَةِ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، أَيْ كَأَوْرَاقِ الزَّرْعِ الْيَابِسَةِ الَّتِي تَأْكُلُهَا الْبَهَائِمُ وَتُلْقِيهَا ثُمَّ تُدَاسُ، فَلَا يَبْقَىٰ مِنْهَا شَيْءٌ. لَقَدْ كَانَتْ مُعْجِزَةً عَظِيمَةً، أَظْهَرَ اللهُ فِيهَا قُدْرَتَهُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ بَيْتِهِ، وَفِي إِهْلَاكِ الْمُتَكَبِّرِينَ الظَّالِمِينَ.

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ أَبْرَهَةَ وَأَصْحَابِ الْفِيلِ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: اللهُ الْحَافِظُ وَالنَّاصِرُ: اللهُ هُوَ الْحَافِظُ وَالنَّاصِرُ لِبَيْتِهِ وَلِدِينِهِ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَخَافُ الْمُؤْمِنُ مِنْ قُوَّةِ الْأَعْدَاءِ مَا دَامَ اللهُ نَاصِرَهُمْ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: عَاقِبَةُ الْغُرُورِ وَالظُّلْمِ: الْغُرُورُ وَالْكِبْرُ وَالظُّلْمُ يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ، فَاللهُ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ.

- **سَارَةُ: الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:** قُدْرَةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ: اللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِهْلَاكِ الْجُيُوشِ الْعَظِيمَةِ بِأَضْعَفِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَالْقُوَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ لِلْعَدَدِ وَلَا لِلسِّلَاحِ.
- **خَدِيجَةُ: الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:** قُدْسِيَّةُ مَكَّةَ وَالْكَعْبَةِ: هَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلٌ عَلَىٰ عَظَمَةِ مَكَّةَ وَالْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، وَأَنَّهَا مَكَانٌ مُقَدَّسٌ تَحْتَ رِعَايَةِ اللهِ وَحِمَايَتِهِ.
- **الْأَبُ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ:** الْيَقِينُ بِنَصْرِ اللهِ: قِصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُعَلِّمُنَا الْيَقِينَ بِقُدْرَةِ اللهِ، وَأَنَّ نَصْرَهُ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، حَتَّىٰ لَوْ بَدَتِ الْأُمُورُ مُسْتَحِيلَةً فِي أَعْيُنِ الْبَشَرِ.

❋❋❋

قِصَّةُ أَبِي لَهَبٍ وَزَوْجَتِهِ: عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ

أَهْلاً بِكُمْ أَبْنَائِي الْكِرَامَ، وَنَحْنُ نُوَاصِلُ رِحْلَتَنَا الْمُمْتِعَةَ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ! وَنَطْوِي رِحْلَتَنَا الْجَمِيلَةَ مَعَ قِصَصِ الْقُرْآنِ. بَعْدَ قِصَّةِ أَبْرَهَةَ وَأَصْحَابِ الْفِيلِ، نَنْتَقِلُ الْيَوْمَ إِلَىٰ قِصَّةٍ وَبِهَا خِتَامُ حَلَقَاتِنَا الْمُمْتِعَةِ.

إِنَّ قِصَّةَ الْيَوْمِ لَيْسَتْ قِصَّةً عَنْ أُمَمٍ بَادَتْ أَوْ مُعْجِزَاتٍ ظَاهِرَةٍ، بَلْ هِيَ قِصَّةٌ عَنْ شَخْصِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِوُضُوحٍ، تُعَلِّمُنَا عَنْ عَاقِبَةِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ الشَّدِيدِ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ. هَذِهِ الْقِصَّةُ مُلَخَّصَةٌ فِي سُورَةٍ قَصِيرَةٍ، قِصَّةُ مُجْرِمٍ وَظَالِمٍ وَطَاغِيَةٍ، ذُكِرَتْ قِصَّتُهُ فِي سُورَةِ الْمَسَدِ (أَوْ تَبَّتْ). إِنَّهَا قِصَّةُ أَبِي لَهَبٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد: ١-٥].

سَنَحْكِي لَكُمْ قِصَّةَ رَجُلٍ كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ تَوَعَّدَهُ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ يُعَادِي الْحَقَّ وَيُحَارِبُ دَعْوَةَ اللهِ.

أُسَامَةُ: أَبِي الْغَالِي، مَنْ هُوَ أَبُو لَهَبٍ؟

الْأَبُ: أَبُو لَهَبٍ يَا أُسَامَةُ هُوَ عَمُّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ عَبْدُ الْعُزَّىٰ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. لَقَدْ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّسَبِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَائِهِ فِي الدِّينِ. عِنْدَمَا بَدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ

الْإِسْلَامِ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُنْذِرَ أَقْرَبَاءَهُ. فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ جَبَلِ الصَّفَا، وَنَادَىٰ فِي النَّاسِ: "يَا صَبَاحَاهْ!"، فَتَجَمَّعُوا حَوْلَهُ.

سَارَةُ: وَمَاذَا قَالَ لَهُمْ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" فَقَالُوا: "مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطُّ". فَقَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ". وَهُنَا وَقَفَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، بَدَلاً مِنْ أَنْ يُصَدِّقَهُ وَيُسَاعِدَهُ، قَالَ لَهُ بِكُلِّ وَقَاحَةٍ وَعِنَادٍ: "تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟" أَيْ هَلَاكًا لَكَ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ، هَلْ جَمَعْتَنَا لِأَجْلِ هَذَا الْكَلَامِ السَّخِيفِ؟ يَا لَهَا مِنْ وَقَاحَةٍ عَظِيمَةٍ، أَنْ يُعَادِيَ الْإِنْسَانُ ابْنَ أَخِيهِ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ، وَيُعْلِنَ كُفْرَهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ!

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

الْأَبُ: لَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ، وَهِيَ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْإِسْلَامِ. لَقَدْ كَانَا يُؤْذِيَانِهِ بِالْكَلَامِ، وَيُلْقِيَانِ الشَّوْكَ وَالْأَذَىٰ فِي طَرِيقِهِ، وَيُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلَيْهِ. تَخَيَّلُوا مَعِي يَا صِغَارِي، أَنَّ عَمَّ الْإِنْسَانِ، وَزَوْجَتَهُ، بَدَلاً مِنْ أَنْ يَكُونَا سَنَداً لَهُ، يَكُونَانِ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَائِهِ، وَيُمَارِسَانِ عَلَيْهِ كُلَّ أَشْكَالِ الْأَذَىٰ!

أُسَامَةُ: وَهَلْ أَنْزَلَ اللهُ شَيْئًا فِيهِمَا؟

الْأَبُ: نَعَمْ يَا أُسَامَةُ! لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ سُورَةً كَامِلَةً تَتَحَدَّثُ عَنْهُمَا وَعَنْ مَصِيرِهِمَا، هِيَ سُورَةُ الْمَسَدِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [سورة المسد: ١-٥].

سَارَةُ: مَا مَعْنَىٰ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ"؟

الْأَبُ: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ" مَعْنَاهَا خَسِرَتْ يَدَاهُ وَهَلَكَتَا. إِنَّهَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخُسْرَانِ وَالْهَلَاكِ، وَهُوَ مَا حَدَثَ لَهُ فِعْلاً. فَقَدْ خَسِرَ فِي الدُّنْيَا، وَمَاتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَسَيَخْسَرُ فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً. لَقَدْ تَوَعَّدَهُ اللهُ بِنَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ، وَهُوَ اسْمٌ يُنَاسِبُ كُنْيَتَهُ (أَبُو لَهَبٍ)، وَكَأَنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ لَهُ عَاقِبَةَ عَدَائِهِ لِلنُّورِ بِالْهَلَاكِ فِي نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ.

خَدِيجَةُ: وَمَاذَا عَنْ زَوْجَتِهِ "حَمَّالَةِ الْحَطَبِ"؟

الْأَبُ: زَوْجَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ يَا خَدِيجَةُ، تَوَعَّدَهَا اللهُ أَيْضاً بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ. لَقَدْ سُمِّيَتْ "حَمَّالَةَ الْحَطَبِ" لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ وَتُلْقِيهِ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِيذَائِهِ، أَوْ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَيْهِ فَتُشْعِلُ نَارَ الْفِتْنَةِ. وَقَدْ تَوَعَّدَهَا اللهُ بِعَذَابٍ فِي جِيدِهَا، أَيْ رَقَبَتِهَا، حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، وَهُوَ حَبْلٌ شَدِيدُ الْفَتْلِ مِنْ لِيفِ النَّخْلِ، سَيَكُونُ عَلَيْهَا فِي النَّارِ، لِتُسْحَبَ بِهِ وَتُعَذَّبَ. يَا لَهَا مِنْ عَاقِبَةٍ لِلَّذِينَ يُعَادُونَ الْحَقَّ وَيُؤْذُونَ عِبَادَ اللهِ!

الْفَوَائِدُ وَالْعِبَرُ الْمُسْتَخْلَصَةُ

وَالْآنَ يَا أَحْبَابِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا قِصَّةَ أَبِي لَهَبٍ، مَا هِيَ أَبْرَزُ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَهَا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟

- **الْفَائِدَةُ الْأُولَىٰ**: الْعَلَاقَةُ بِالدِّينِ أَهَمُّ مِنْ عَلَاقَةِ الْقَرَابَةِ: فَمَنْ يُعَادِي اللهَ وَرَسُولَهُ، فَاللهُ يَتَوَلَّىٰ حِسَابَهُ وَيُجَازِيهِ بِالْعَدْلِ.
- **أُسَامَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ**: عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ: الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ لِلْحَقِّ يُؤَدِّيَانِ إِلَىٰ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاللهُ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ.
- **سَارَةُ**: **الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ**: الْمَالُ وَالْجَاهُ لَا يَنْفَعَانِ أَمَامَ غَضَبِ اللهِ: الْمَالُ وَالْجَاهُ لَا يَنْفَعَانِ الْإِنْسَانَ أَمَامَ غَضَبِ اللهِ، فَالنِّهَايَةُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ.
- **خَدِيجَةُ**: **الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ**: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِبْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُبَيِّنُ عَاقِبَةَ الْكَافِرِينَ لِتَكُونَ عِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ.
- **الْأَبُ**: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي! وَهَذِهِ **الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَخِيرَةُ**: اللهُ يُدَافِعُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: اللهُ يُدَافِعُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُمْ، فَالْمُؤْمِنُ لَا يَخَافُ مِنْ تَهْدِيدِ الظَّالِمِينَ.

وَإِلَىٰ هُنَا انْتَهَيْنَا مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ قِصَصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. إِلَىٰ اللِّقَاءِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ قِصَصِ الْأَطْفَالِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ!

***

الفهرس

المقدمة ٥
قِصَّةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ٧
قِصَّةُ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ ١٠
قِصَّةُ أَصْحَابِ السَّبْتِ: دَرْسٌ فِي الطَّاعَةِ وَعَوَاقِبِ الْمُخَالَفَةِ ١٣
قِصَّةُ رَجُلٍ كَمَثَلِ الْكَلْبِ: عَاقِبَةُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ ١٦
قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ: الثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ وَحِفْظُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ ٢٠
قِصَّةُ الْمَزْرَعَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي احْتَرَقَتْ: دَرْسٌ فِي الشُّكْرِ وَعَوَاقِبِ الْغُرُورِ ٢٣
قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ: الْقُوَّةُ فِي خِدْمَةِ الْعَدْلِ ٢٦
قِصَّةُ سَبَأٍ: عَاقِبَةُ الْبَطَرِ وَعَدَمِ الشُّكْرِ ٣٠
قِصَّةُ قَارُونَ ٣٤
قِصَّةُ الرَّجُلِ النَّاصِحِ الَّذِي قَتَلَهُ قَوْمُهُ (صَاحِبُ يَاسِينَ) ٣٨
قِصَّةُ الْجِنِّ وَاسْتِمَاعُهُمْ لِلْقُرْآنِ ٤٣
قِصَّةُ الْمُجَادَلَةِ: رَحْمَةُ اللَّهِ بِخَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ ٤٦
قِصَّةُ أَصْحَابِ الْمَزْرَعَةِ الْجَمِيلَةِ: وَعَاقِبَةُ الْبُخْلِ وَمَنْعِ حَقِّ الْفَقِيرِ ٥٠
قِصَّةُ الْغُلَامِ وَالسَّاحِرِ وَالْمَلِكِ الظَّالِمِ (أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) ٥٥
قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ: عَظَمَةُ اللَّهِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ٦٢
قِصَّةُ أَبِي لَهَبٍ وَزَوْجَتِهِ: عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ٦٦
الفهرس ٧٠

سلسلة قصص الأطفال (١)
قصص الأطفال
الجزء الأول
القسم الأول
قصص الأنبياء عليهم السلام
إعداد: سالم بن محضر بن أحمد المذحري
سلسلة قصص الأطفال (٢)
قصص الأطفال
الجزء الثاني
قصة نبينا محمد ﷺ من الولادة إلى الوفاة
إعداد: سالم بن محضر بن أحمد المذحري
سلسلة قصص الأطفال (٣)
قصص الأطفال
الجزء الثالث
قصص القرآن الكريم
إعداد: سالم بن محضر بن أحمد المذحري
سلسلة قصص الأطفال (٤)
قصص الأطفال
الجزء الرابع
مجموع القصص النبوية
إعداد: سالم بن محضر بن أحمد المذحري
سلسلة قصص الأطفال (٥)
قصص الأطفال
الجزء الخامس
قصص العقيدة الصحيحة
إعداد: سالم بن محضر بن أحمد المذحري
دار الطبراني
للطباعة والتجليد
اليمن - لحج - تبن - دار الحديث
السلفية بالفيوش
775250954